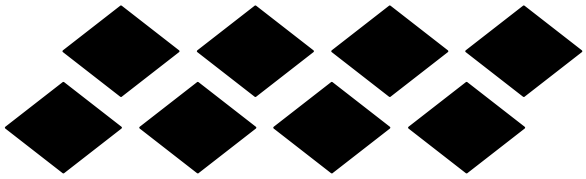

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

لهجة قرية البراهمة- دراسة صوتية

د. أحمد إسماعيل عبد الكريم

توطئة :

تُعنى هذه الدراسة بالكشف عن علاقة العامية بالفصحى، ومدى ارتباط هذه اللهجة باللهجات العربية القديمة، من واقع أنَّ اللهجات عمومًا والعاميات المعاصرة خصوصًا تعتبر محصلة لتطورات متلاحقة عبر الأزمنة المتفاوتة، ولا بد أن التطور قد لحق بعض الأصوات بالتأثير والتغيير، وبالطبع تتأثر اللهجات بهذا التطور، وبكل تغيير جديد تحتاج إليه في الممارسة الكلامية، وتختلف اللهجات فيما بينها بدرجات التطور وتأثيره فيها، لاختلافها في النشأة وبأثر الأمور الاجتماعية والاقتصادية[١]، ذلك أنَّ "النظام الصوتي بعيد كلَّ البعد من أن يكون ثابتًا طوال تطور لغة من اللغات"[٢]، وهو قانون لغوي عام ليس في العربية وحدها[٣]. بل فى اللغات عامة؛ لأنَّ ما يدخل فى نطاق الاستعمال البشرى لا بد أن يتأثر ويؤثر، سلبًا وإيجابًا، والعربية كغيرها من اللغات خاضعة للتغير والتبدل[٤]، وهو افتراض منطقي يقرر أنَّ اللغة التي تتوقف عن التطور الصوتي لا بدَّ أن تكون قد فارقت الحياة[٥].

ولقد لقيت العاميات أو اللهجات الدارجة نظرة ازدراء واستهانة من الباحثين وخاصة المثقفين؛ باعتبار أن كل ما تستعمله العامة خطأ، ولا يمت للعربية بصلة، ولكن الواقع يؤكد أن العاميات عمومًا لم تخلق من عدم وإنما خرجت من رحم الفصحى، وامتزجت بلهجات القبائل، وارتبطت معها بعلاقات وطيدة، وأن الاختلافات الحادثة عبر الأزمان لا تتعدى العدول أو اللحن أو الخطأ أو القصور فى السماع والنقل.

وانطلاقًا من هذه الفرضية ترمى هذه الدراسة إلى القراءة المتأنية للهجات عمومًا واللهجة التى تدور فى كنفها هذه الدراسة، لمحاولة رسم علاقة استرشادية بين العامية والفصحى، والوقوف على ما هو من الفصحى وما هو دخيل، أو من مظاهر اللحن وصور القصور، وإمكانية الإفادة من ذلك والوقوف على حقيقة علاقة العامية بالفصحى، وإزالة

---

(١) ينظر: علم اللغة ، د. حاتم الضامن ، ص١٥٢

(٢) اللغة ، لفندريس، ص٦٤

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، ص١٤١ .

(٤) ينظر: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، د. أحمد حسن الباقوري، ص٣٤ .

(٥) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، ص ١٢ . .

الغشاوة والوهم اللذين يكتنفان بعض القائلين بأن العامية منفصلة تمامًا عن اللغة الأم، ولا تمت لها بأدنى صلة.

وقد قُصرت الدراسة على الاتجاه الصوتى فقط؛ لأن الدراسات اللهجية – كما يقرر الباحثون- دراسة ذات طبيعة صوتية في أساسها، وهي خير مجال لعلم الأصوات التطبيقي، والتحسس بنطق الإمالة لا يتحقق إلا بالتلقي والمشافهة[١]، لأنَّ الإمالة والإبدال والإدغام والإتباع الحركى، وغيرها كلها تعتبر مظاهر صوتية فقط، ولا تتصل بالتركيب.

وقد اعتمدت الدراسة فى جمع مادة هذا البحث على تسجيلات صوتية لأحاديث مع عدد من أهل هذه القرية، بالإضافة إلى أننى من مواليد هذه القرية، نشأت فيها وتلقيت فيها تعليمى وتعاملت فيها مع أهلها وذويها على مختلف أعمارهم ومستوياتهم. وقد راعت الدراسة دقة اختيار العينات التى جرت معها التسجيلات، حيث إنهم فوق السبعين من العمر، وأنهم مقيمون فى البلد ولم يغتربوا طوال حياتهم، حذر التأثر باللهجات الأخرى للبلاد النازحين إليها، كما راعت الدراسة اختيار العوام من غير الحاصلين على شهادات، أو أى قدر من التعليم؛ ويأتى دور الباحث فى دقة التسجيل وإرهاف السمع وتدوين النصوص اللهجية للوصول إلى نتائج صحيحة فى التحليل والحكم.

ولمَّا كانت الدراسة يدور موضوعها فى دراسة لهجة من اللهجات فى هذا العصر، وبالتحديد "لهجة البراهمة دراسة صوتية"، لذا فإنَّها ترى الاعتماد على المنهج الوصفى التحليلى التقابلى؛ ومرد اعتمادها المنهج الوصفى، لكونه أنسب مناهج علم اللغة، في تناول هذا الموضوع؛ لأنَّ أية دراسة صوتية أو صرفية، أو نحوية أو دلالية لأحد مستويات العربية قديمًا أو حديثًا تُعدُّ دراسة وصفية[٢] أما التحليل فلكونه الأساس الذى يتم من خلاله معرفة علاقة الظواهر الصوتية لهذه اللهجات بالبنيات الوظيفية وطبيعة فونيماتها التركيبية، وعلاقة ذلك بنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذى يبذل فى النطق، أما المنهج التقابلى فكان لعرض الظواهر اللغوية للهجة أهل البراهمة على لهجات القبائل العربية القديمة، وتتبع هذه الظواهر من خلال المصادر التراثية؛ للوقوف على علاقة هذه اللغة الدارجة باللغة الأم – أى الفصحى- ومعرفة مكمن القصور فى ربط العاميات

---

(١) ينظر: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، ٩٥ .

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي. دار الثقافة.القاهرة ١٩٧٨. ص ٢٣، ٢٤

بالفصحى –إن أمكن ذلك– للمحافظة على لغتنا الفصحى باعتبارها رأس الأمر فى هويتنا، وحلقة الوصل بتراثنا.

من هنا ســتأخذ الدراسة على عاتقها جمع هذه المسائل، وتصنيفها وتبويبها، وتحليل الأصوات والوقوف على علاقتها باللهجات العربية القديمة، ومكانها من اللغة الأم٠ وقد جاءت الدراسة فى مقدمة، وتمهيد يتضمن لمحة سريعة عن البراهمة والتعريف بها، وثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: التغيير بالنقص**
- **المبحث الثانى: التغيير بالترتيب والإبدال**
- **المبحث الثالث: التغيير بالزيادة**

تمهيد:

البراهمة إحدى قرى محافظة قنا، وتقع جنوبيها بحوالى عشرين كيلو متر تقريبًا، يحدها من الشمال قرية كلاحين أبنود، ومن الجنوب قرية الشيخية، ويحدها من الغرب نهر النيل –أدام الله تعالى سريانه– ومدينة قفط وقرية القلعة على امتداد الشريط الشرقى، وتبلغ مساحتها (١٩. ٢٨٥٧) فدانًا بما يوازى (١٢) كيلو متر تقريبًا، ويبلغ عدد سكانها حسب آخر تعداد (٧٦٨. ٥٦) نسمة.

وقد تميز أهل البراهمة بشدة تكاتفهم وتلاحمهم فى شتى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، وامتدت علاقاتهم بمن حولهم، ويرجع ذلك إلى الموقع الحيوى الذى اتسمت به بلدتهم منذ القدم، حيث اتساع رقعتها وامتدادها على النيل، وارتباطها بقفط امتداد طريق المغرب العربى بالمشرق العربى، عن طريق قفط–القصير– عيذاب، وقد كان لهذا الطريق صولات وجولات فى الاتصال بين القبائل العربية منذ قرون طويلة، ولا بد أن يكون لذلك أثر فى رصانة لغتهم ومن حولهم واقترابها من الفصحى وامتزاج اللهجات.

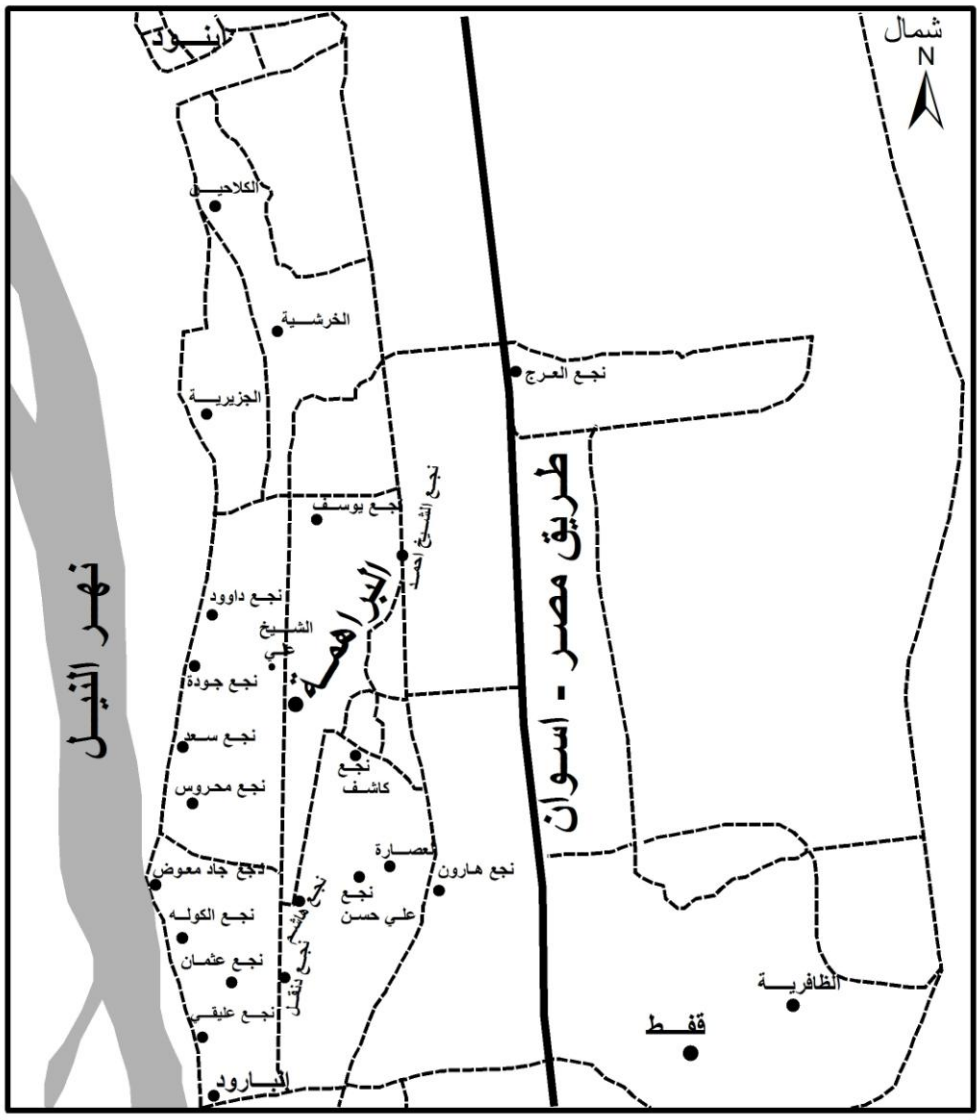
شمال
N
أسوان
الكلاحين
الخرشبة
الجزيرية
نجع يوسف
نجع داوود
الشيخ علي
نجع جودة
نجع سعد
نجع محروس
نجع جاد معوض
نجع الكوله
نجع عثمان
نجع عليقي
البارود
البراهمة
نهر النيل
طريق مصر - اسوان
نجع العرج
نجع الشيخ احمد
نجع كاشف
نجع العصارة
نجع هارون
نجع علي حسن
الظافرية
قفط

المبحث الأول

التغيير بالنقص

يتناول هذا المبحث التغيرات التى تحدث للفظة من حيث حذف الحركة، أو تسهيل الحرف، أو اختلاسه أو حذفه، أو اختصار جملة فى كلمة بطريقة النحت.

أولاً: التسكين:

ظاهرة التسكين من الظواهر اللغوية المرتبطة باللهجات، منذ العصور الأولى واللغة فى شد وجذب، فما دامت اللغة فى التداول اللسانى فلا بد أن تتأثر بالتطور، فتستجيب لدواعى التغيير، من تخفيف ولحن وقوة وضعف، فاللغة كائن حى كما أكد ذلك "ولفنسون" بقوله: "ويجب ألا يغيب عن بالنا أنَّ من طبيعة اللغات أن تكون دائمة التغير، فلا يمكن أن تقف على حالة واحدة زمنًا طويلاً... وإلى هذه الطبيعة الملازمة للغات ترجع تلك التغيرات التى حدثت فى مناطق الجزيرة العربية..."[١] ولا يمكن إغفال عامل التحول؛ لأنَّه جوهرى فى العملية، يقول فندريس: "عندما يُحسب حساب الظروف الخارجية فى تكوين اللهجات، يبقى أنَّ هذه الظروف تستند جوهريًّا إلى التطور الطبيعى لعناصر اللغة"[٢] وقد عزا بروكلمان تشكل اللغات إلى تحولات اللهجات باعتبارها عمليات جوهرية فى تطور اللغة نحو التخفيف[٣]. إذ الانتقال من الحركة إلى السكون مسلكٌ صوتيٌّ، ولهجيٌّ مقصود؛ لتلافي الانتقال من الأخف إلى الأثقل، وبذلك يمنح هذا الانتقال أو العدول اللغوى الخفة ومنع توالى الأمثال.

وبرغم أن المؤرخين للتطور اللغوى يرجعون ظواهر التخفيف لبعض القبائل لكنَّ الواقع يؤكد انتشار هذه الظاهرة لدى كل القبائل العربية ويعتبر النحاة واللغويون لجوء الناطقين بالعربية إلى التسكين "ميلهم إلى السرعة فى النطق، الذى ينتهى إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، حيث إنَّ حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد، وهو ما يهدف إليه البدوىُّ بعكس القبائل المتحضرة التى تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح

---

(١) تاريخ اللغات السامية، ولفنسون، دار القلم، بيروت، د. ت ، ص ١٩٠

(٢) اللغة لفندريس، ص ٣٢٧

(٣) ينظر: فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، د.ت، ص ١٤، ٢٦

والبيان"[1]. وجاءت هذه الظاهرة فى لهجة البراهمة، فى حالة واحدة من حالات التسكين، وهو التسكين فى المضموم.

– التسكين فى (فُعُلٌ):

تُعَدُّ صيغة (فُعُلٌ) من الأبنية المشتركة بين الأسماء والصفات، ويرجع السبب فى تسكين الثانى المتحرك فى هذه الصيغة إلى التخفيف من الثقل المترتب على توالى الضمتين؛ لأنَّ إحداهما مستثقلة، وقد وجدنا هذه الظاهرة فى لهجة البراهمة، حيث إنهم ينطقون الحرف الثانى من هذه البنية فيقولون: عُنْق، ورُسْل، وأُسْد، وأُفْـــــــق، والبُرْدُ، وخُمْر، وشُغْل، وحُمْر، وغيرها من الألفاظ. والجدير بالإشارة أن هذه الظاهرة ليست وليدة اللغات الدارجة وإنما هى من أصول الفصحى، حيث ولدت معها، ولم تنفصل عنها، لأنها من مظاهر حيوية اللغة ورعايتها للخفة والسلاسة لدى الناطقين بها، وقد فقه العلماء واللغويون ذلك حيث يقول سيبويه: "وإذا تتابعت الضمتان فإنَّ هؤلاء يخففون أيضًا، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنَّما الضمتان من الواوين، فكما تُكره الواوان كذلك تُكره الضمتان؛ لأنَّ الضمة مع الواو وذلك قولك: الرُّسْلُ والطُّنْبُ والعُنْقُ تريد: الرُّسُلُ والطُّنُبُ والعُنُقُ"[2]. وقد ورد تسكين هذه الصيغة اسمًا كان أو صفة[3]. والاسم – حسب ما يرى البحث– يتضمن المفرد والجمع، فيقول أبو البركات الأنبارى: "كل جمع جاء على "فُعُلٌ" بضم العين فإنَّه يجوز فيه "فُعْل" بسكونها حتى جعله بعضهم قياسًا مطردًا، فى كل ما جاء على "فُعُلٌ" وإنْ كان مفردًا نحو: عُنُقُ وعُنْقُ، وأُكُلٌ وأُكْلٌ، طلبًا للتخفيف إلا أنَّ التخفيف فى الجمع أقيس من المفرد؛ لثقل الجمع وخفة المفرد"[4].

– تسكين حركة الإعراب:

من المسلم به أن اللغة العربية لغة سياقية، أو بالأحرى لغة إعرابية، تؤدى فيها الحركات معنىً وظيفيًّا، فتنهض دليلاً على معنى؛ حيث يبين من خلالها معنى الفاعلية من

(١) اللهجات العربية فى التراث، ١/ ٢٤٦

(٢) الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت، ٤/ ١١٤

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ١١٤، ١١٥، وإصلاح المنطق، ص: ١١٨، والخصائص، ١/ ٧٥

(٤) البيان فى غريب إعراب القرآن، ١/ ١٨٤

المفعولية، والمسند من المسند إليه، والإضافة وغيرها، وبرغم ما تقوم به الحركة الإعرابية من دور فى التركيب، فتعمل كقيمة خلافية تحدد المعنى وتمنع اللبس لكنَّها تكاد تكون غائبة تمامًا فى اللهجات عامة، ونرى ذلك واضحًا فى لهجة البراهمة، فحين نستمع لأحاديثهم فإنهم ينطقون بالوقف ولا يقيمون للحركة الإعرابية وزنًا، فيقول أحدهم مثلاً: "كلمتْ حِسِيَّنْ عن الموضوعْ، وحِسينْ حكى لى الحكايةْ من طقطق لسلامَ عليكمْ، ولقيتْ الحقْ معاهْ، وقالْ إنه ردْ على إبراهيمْ، وقال له: اعتبرْ الموضوعْ منتهىْ،....، وغيرها الأمثلة كثيرة، فنلحظ فى هذه الجمل خلوها من الحركة الإعرابية، فلم تظهر الضمة ولا الفتحة ولا الكسرة، علامة على الرفع أو النصب أو الجر، ومما تلحظه الدراسة أن غياب الحركة الإعرابية لا يؤثر كثيرًا فى كشف المعانى لأنَّ الجملة عندهم بسيطة وبعيدة عن الولوج فى التراكيب الموغلة فى الغموض أو اللبس.

ومما يجدر ذكره فى هذا السياق أن هذه الظاهرة لها وجود فى بؤرة اللغة الفصحى، فقد جرى تسكين حركة الإعراب على ألسنة الفصحاء وأساطين البلاغة، ولا سيما فحول الشعراء، استجابة لضرورة الوزن والقافية، كما لُجئ إليه فى النثر والكلام الدارج، رغبة فى التخفيف والهروب من الثقل الناجم عن التحريك الذى يتبعه الجهد العضلى، وإنْ كان هذا الكلام فى الألفاظ مقبولاً لدى اللغويين والنحاة، فإنهم قيدوا المتكلم بضبط الأواخر فى جميع الأحوال تعميمًا لقواعدهم، ولم يسمحوا به إلا فى الوقف.

لم يختلف العلماء فى تجويز تسكين الحركة الإعرابية فى الشعر للضرورة، لكنهم لم يقولوا بتجويزه فى النثر؛ حيث إنه لا توجد ضرورة حاجية أو ملحة يقتضيها النص النثرى، ولذا لم يلق تسكين الحركة الإعرابية قبولاً مطلقًا لدى النحاة، اللهم إلا ما كان مرتبطًا بالظواهر اللهجية، ويلحظ ذلك فى القراءات.

ولقد استدلوا بكثير من النصوص الشعرية على تسكين الحركة الإعرابية، نذكر بيت امرئ القيس الذى تواتر الاستدلال به فى المصادر اللغوية:

فاليَوْمَ أشْرَبْ غَيْرَ مُسْتحقِبٍ إِثْمًا من اللهِ ولا وَاغِلِ[1]

([1]) الكتاب، ٤/ ٢٠٢، والخصائص، ١/ ٧٥، ٢/ ٣١٧، والمقرب، ٢/ ٢٠٤، وشرح المفصل، ١/ ٤٨، معانى القرآن للأخفش، ١/ ٩٤، وشرح شذور الذهب، ص ٢١٢، والمحتسب، ١/ ١١٠، ومعانى الحروف للرمانى، ص ٥٨،

فحذف الإعراب من "أشربُ" وهو فعل مستقبل، حقه أن يكون مرفوعًا، ولكن فَعَل هذا فيه ما يُفعل في الحركات التي تحذف استثقالاً وليس بإعراب. ومن أنكره رواه: «فاليومَ فاشْرَبْ»، على الأمر لنفسه"[١] مع ملاحظة أن القزاز يعلل ذلك بالثقل وهي غاية إيقاعية مرتبطة بالوزن والقافية. غير أن ذلك ضرورة شعرية لا مندوحة للشاعر عنها؛ لأن الوزن هو الفيصل ولا يجوز التغاضى عنه، أما النثر فلا ضرورة فيه، ولذا فإن تغاضى اللهجات عن الإعراب يعتبر من الأمور المستهجنة المقيتة إن أدى ذلك إلى اللبس والغموض .

– تخفيف الهمـــزة:

من مظاهر الخلافات التى تبدو واضحة فى اللهجات العربية الاختلاف فى نطق الهمزة، من التحقيق أو التسهيل أو الحذف، أو الإبدال، وهذه الظاهرة متأصلة فى جذور العربية، ولا غرو أن هذه الظاهرة لها بواعثها وإن كانت قد التصقت بعض خصائصها بقبائل معينة، الأمر الذى جعل علماء اللغة والقراءات يعتنون بالهمزة عنايةً كبيرةً ، فتحدثوا عن أحكامها وربطوا بين صور نطقها وأدائها، واللهجات العربية التي انسجمت مع إحدى تلك الصور، أو ظهرت فيها صورتان.

يعتبر صوت الهمزة من الأصوات الثقيلة، حسبما يقرره علماء الصوتيات، فالهمزة عند القدماء حرف مجهور من أقصى الحلق[٢]، وعند المحدثين[٣]: صوت صامت حنجري انفجاري؛ يحدث بانطباق الوترين الصوتيين انطباقًا تامًا وشديدًا، حتى لا يسمح للهواء بالمرور، فيحتبس داخل الحنجرة، ثم انفتاحها فجأة، فيخرج صوت الهمزة على صورة انفجار[٤]. ولهذا يحتاج نطق الهمزة إلى مجهود عضلي كبير، وبسببه لم يكن استعمال الهمزة عند العرب واحدًا، إذ تنوعت صور نطقها، قال سيبويه: "اعلم أنَّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء؛ التحقيق، والتخفيف، والبدل"[٥].

---

(١) ما يجوز للشاعر، ص١٨٦.

(٢) ينظر: العين، حرف الهمزة، ١ / ٥٢، والكتـــاب، ٤ / ٤٣٣، وسر صناعة الإعراب، ١/ ٦٠

(٣) ينظر: علم اللغة ، السعران ، ١٧٠ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ١١٣ .

(٤) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ٢٤ ، والأصوات اللغوية، ٨٩ – ٩٠ .

(٥) الكتـــــاب، ٣ / ٥٤١ ، وينظر: إعراب ثلاثين سورة ، ١٤٣ .

ويبدو أن سعى الناطقين بالعربية نحو التخفيف والتيسير جعلهم ينحون فى نطق الهمزة نحو التسهيل، أو الإبدال، أو الحذف، وقد ذكر مكي القيسي أنَّ صوت الهمزة تصرَّفت فيه العربُ "ما لم تتصرّف في غيره من الحروف، فأتت به على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام ...."[(١)]، وقد ذكر تلك الأوجه السبعة[(٢)]، وقد فصّلت الحديث عنها الدكتورة "مي فاضل الجبوري"[(٣)].

ويؤكد الدكتور إبراهيم أنيس أن النطق بالهمزة محققة هو الأصل، أما الظواهر الصوتية الأخرى فهى تكاد تكون من مراحل التطور اللغوى، جراء اتجاه بعض القبائل المتحضرة إلى التخفيف والتسهيل، حيث يقول عن الهمزة إنها كانت "خاصة من الخواص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة، وشرقيها، وهي قبائل تميم، وما جاورها، وإنَّ عدم الهمز خاصة حضريَّة امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة، وغربيها"[(٤)]، والملاحظ أن هناك ميلاً لدى العامة للتخلص من الهمزة بتخفيفها، أو حذفها، ويرجع ذلك إلى منطق اللغة العام فى التخفيف، والميل نحو السهولة والتيسير فى النطق، فاللغة فى محاولات دائبة للتخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتًا أخرى لا تتطلب مجهودًا عضليًّا شاقًّا، فالعامة تستثقل الهمزة؛ لأنها أشد الحروف الشديدة[(٥)] وتخفيف الهمزة فى هذه القرية يتحقق بواحدة من الصور الآتية:

– الإبدال: وهو الأكثر شيوعًا في اللهجات، ويعني إبدال الهمزة إلى أحد أحرف العلة (الألف، والواو، والياء) . ومن ذلك ما ورد على ألسنة أهل البراهمة فى الهمزة فى أول الكلمة قولهم: اليدان، يريدون الآذان، وقالوا على المأذنة: ميدنة، أما فى حال الهمزة المتوسطة فمنها قولهم: توضيت، طفيت، هديت، مليت، القراية، جاير، حاير، حايل، خايف، دايم، دلايل، زاير، ثاير، داير، ساير، فايدة، فاير، فايق، قبايل، لايق، ناير، نايم،

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة ، ٧٤ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٧٤ .

(٣) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، ٢٧ – ٧٤ .

(٤) في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، ٦٦ .

(٥) ينظر: الفصيح لثعلب، ٩٩، المخالفات النحوية فى شعر الكميت بن زيد، د. عصام عبد المنصف، ص٧٣

غاير، وسايل، ديب، بير، هادية، وحين تكون متطرفة على الياء كقولهم: لاجى، هانى، يستهزى، يستمرى، يستجرى، يهدى، يطاطى، يخطى، برى، هادى، نى، بقلبهم الهمزة ياء، محاولة من المتكلم التخلص من الثقل الناجم عن النطق بالهمزة محققة.

ويخففون الهمزة المتوسطة ويقلبونها إلى "الألف" فى كثير من الألفاظ، منها: تار، راس، فار، فاس، فال، كاس، يستاهل، ياكل، يتاكل، يملا، يلجا، يدَّفا.

كما أنهم يقلبون الهمزة إلى الواو كقولهم فى جمع "ودن" أى "أذن" على "ودان" و"وجت" فى أجت، لاشتعال النار، و"وَكْل" يريدون: "أكل" ذلك فى أول الكلمة أما فى وسطها فمنه قولهم: شُوم، يُونِّسْ، يُوَكِّلْ، مُوَكَدْ، مُوَقَّتْ، لا مواخذه، يودى.

ثانيًا: الحـــذف

الحذف: "ظاهرة لغويَّة عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية، إذ يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المتكررة في الكلام ... أو تحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة، وهي أكثر ثباتًا ووضوحًا في العربية لميل العرب إلى الإيجاز، والتخفيف في الكلام[١]، قال النحاس: "ومن إعجازه الحذف والاختصار والإيجاز ودلالة اللفظ اليسير على المعنى الكثير"[٢]، ومن صور الحذف الواردة فى لهجة أهل هذه القرية:

– حذف الهمزة: يعني إسقاطها من الكلمة، ومن أمثلة ما ورد فى لهجة هذه القرية من حذف الهمزة من أصل الكلمة، قولهم: رُز، وَز، بِريق، سُوان، وِلاد، عِمَام، خُوال، خُوات، رُباع، كوام، سِفنج، مَرَتُه، وَقية، ميضة، يدَّفوا، العيا، الريس، الروس، مشير، يريدون: أرز، إوز، إبريق، أسوان، أولاد، أعمام، أخوال، أخوات، أرباع، أكوام، إسفنج، امرأته، أوقية، ميضأة، يدَّفئوا، الإعياء، الرئيس، الرءوس، والشهر القبطى "إمشير".

وحذفوا الهمزة والألف من "الأ" فى: يوم لِحَدْ، ويوم لِتْنِيَنْ، ويوم لِرْبِعْ، وكذا حذفهم الألف من الفعل الماضى: خَدْ، ختّ، خَدِتْ، خَدُوا، خَدْنَا، كَلْتْ، كَلْنَا، كما تُحذف الهمزة من ضمير المتكلم والمخاطب بنوعيه، أنا وأنت، وأنتِ حين تسبق بحرف العطف الواو، كقولهم: وَنَا مسافرْ قابلتْ فلانًا، ونْتَ من فترة كبيرة غايب عن البلد، وكذا الاسم المسبوق بحرف العطف كقولهم: وِخْتَكْ وَخُوكْ وُمَّكْ وَبُوكْ، وِسْمَعِينْ، وِبْرَهِيمْ، يريدون: أنا، وأنت،

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ٨٩ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ، ٢ / ٤٤٠ .

وأختك وأخوك وأمك وأبوك، وإِسْمَاعِيل، وإِبْرَاهِيم، لكنهم حذفوا الهمزة هروبًا من الثقل الناجم عن تحقيقها، كما يحذفون الهمزة من الاسم المنادى البادئ بهمزة نحو قولهم: يَحمد، يبرهيم، يسمعين، يَاخى، يابو العم، يمّه، يابايه، يستاذ، يريدون: يا أحمد، يا إبراهيم، يا إسماعيل، يا أخى، يا أبو العم، يا أمى، يا أبى، يا أستاذ، وغيرها.

- قصر الاسم الممدود:

قصر الاسم الممدود من صور التخفيف الظاهرة فى لهجة البراهمة، فنجدهم يقصرون الممدود على أية حال ولا ينطقون بالمد فى لهجتهم، ومما ورد من ذلك قولهم: سما، شفا، قضا، هوا، سينا، مينا، حنا، جلا، نما، جفا، اختفا، ارتوا، استوا، هنا، دعا، بقا، ندا، بنا، وفا، عطا، لقا، بلا، حيا، عليا، نقا، عميا، شقا، حوا، ضيا.

ولا شك أن هذه الظاهرة لها أصولها فى التراث اللغوى، وليست بدعًا فى لهجة البراهمة، وهى متصلة عندهم باللغة السياقية والتداولية، وقد أجمع النحاة على جواز ذلك لما فيه من رد الاسم إلى أصله بحذف الزائد منه(١) ورد ابن السراج هذه الظاهرة إلى الضرورة الشعرية، واعتبره مما يستحسن للشاعر إذا اضطر(٢) وعضد رأيه بقول الراجز:

لا بد من صنعا وإن طال السفر

فقصر"صنعاء" للضرورة، «ونعلم أن المقصور قد يمد اضطرارًا، وكذلك الممدود يقصر للضرورة.(٣) لكنها فى لهجة البراهمة لا ترتبط بالشعر أو بضروراته.

ولم تكن هذه اللهجة أو العدول فى نطق الهمزات بدعًا من القول فى لهجة هذه القرية، ولكنها تمتد لأصول اللهجات العربية، ويؤكد ذلك الدكتور رمضان عبد التواب بقوله(٤): "وهذه الظاهرة في اللهجات المعاصرة امتداد لما كان عند الحجازيين القدماء، في نطقهم لهذه الكلمات وأمثالها، ومع أن هذا الصوت أصيل في اللغات السامية، فإن الجهد العضلي الذي يتطلبه في نطقه، أدى إلى ضياعه في كثير من اللغات السامية،

(١) ينظر/ الضرائر للآلوسى، ٥٧، ٥٨، وضرائر الشعر، ١١٦

(٢) الأصول، ٣/ ٤٤٧

(٣) من ملامح الإبداع النحوي عند أبي العلاء المعري، د. محمد عبد المجيد الطويل، ص٢٣.

(٤) بحوث ومقالات فى اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٣/ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ٢٧٢، ٢٧٣

واللهجات الحجازية القديمة في العربية، وأكد كلامه بما قاله ابن يعيش: "اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل، يخرج من أقصى الحلق؛ إذ كان أدخل الحروف في الحلق، فاستثقل النطق به؛ إذ كان إخراجه كالتهوّع، فلذلك الاستثقال ساغ فيه التخفيف، وهو لغة قريش، وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيق لغة تميم وقيس"(١).

ومن صور الحذف الشائعة فى لهجة البراهمة على مستوى الحروف، حذفهم "الياء" من حرف الجر "فى" حين يلتقى بكلمة معرفة "بأل" وذلك تجنبًا لالتقاء الساكنين فيقولون: فِلْبِيَتْ، فِلْمِدْرَسَة، فِشْشَارع، فِلْغِيَطْ، فِلْحَقل، لكنها تظهر حين يلحقها حرف متحرك، نحو قولهم: فى قطعة أرض كنا نزرعها جنب أرضكم من عشر سنين، وقولهم: كنا نعيش فى بيت العيلة، وقولهم: ولا كانت فى شقق ولا كنا نعرفها.

وكذلك يحذفون "النون" من حرف الجر "مِنْ" حين يلتقى بساكن أو بكلمة معرفة "بأل"، كقولهم: فلان مِلْبِيَتْ للغيط، مِجْسِر السريع للمدينة الصناعية حوالى خمسة كيلو تقريبًا. لكنها لا تحذف حين تأتى قبل كلمة مبدوءة بحرف متحرك، كما يقولون فى المثل الدارج: اللى يطلع من داره يتقل مقداره، وقولهم: من بلدنا لبلدكم حوالى عشرة كيلو لا تزيد.

ومما يجدر ذكره أن لهذه الظاهرة جذورها الأصيلة فى العربية، ويؤيد ذلك أننا نجد ابن منظور يقول: "قال أبو إسحاق: ويجوز حذف النون من "من" و"عن" عند الألف واللام، لالتقاء الساكنين، وحذفها من "من" أكثر من حذفها من "عن"؛ لأن دخول "من" في الكلام أكثر من دخول "عن"(٢). ومثل قول الحارث بن خالد المخزومي: [الخفيف]

عاهد الله إن نجا مِلْمنايا ليعودن بعدها حرميا(٣)

ويقول المبرد بعد هذا البيت: "وقوله: مِلمنايا، يريد: من المنايا، ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام، فكانتا كالصوتين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة"(٤).

(١) شرح المفصل ٩/ ١٠٧ وينظر كذلك: شرح مراح الأرواح ٩٩

(٢) لسان العرب "من" ١٧/ ٣١٢.

(٣) الكامل للمبرد ٣/ ٣٦٠.

(٤) الكامل، نفسه، و بحوث ومقالات فى اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٥، ٤٦

ويعزو الشيخ خالد الأزهرى[١] حذف نون "من" إذا وليها ساكن إلى "خَثْعَم" و"زبيد" وهما من القبائل اليمنية البدوية التى نزلت السروات، وهذه الظاهرة التى عُزيت إلى "خَثْعَم" و"زبيد" نجدها أيضًا فى بيت لشاعر تميمى هو "المغيرة بن حبناء"[٢] يقول: [البسيط]

إِنَّى امْرُؤٌ حَنْظَلِىٌّ حينَ تَنْسُبُنِى لا مِلْعَتِيكِ ولا أَخْوَالِىَ العَوَقُ[٣]

ويأتى الحذف على ثلثى حرف الجر "على" ليبقى على "العين" وذلك حين يلتقى بكلمة مبدوءة بساكن، ولا سيما المعرفة "بأل" حتى كأنها تصير مدمجة فى الكلمة اللاحقة بها، فحين تسمعهم يقولون: الأدب فضلوه عَلْعِلْم، وكقولهم: قابلته عَلْقَنْطَرَةْ، وكلمنى عَلْمِيرَاثْ، أما إذا جاءت مسبوقة بكلمة مبدوءة بحرف متحرك فإنها تُنطق على أصلها كقول أحدهم: كلمته على ميراثه من أبيه، كان عاوز يبيعه، وقلت له يا ولدى على قد لحافك مد رجليك، ومتفرطش فى حاجة فيها ريحة الوالدين، وهكذا.

ومن الجدير بالإشارة أن هذه الظاهرة لها وجودها فى التراث اللغوى، فنجد سيبويه يقول: "ومثل هذا قول بعضهم: عَلْماءِ بنو فلان، فحذفوا اللام، يريد: على الماء بنو فلان، وهي عربية"[٤]. ويرى ابن الشجري أن هذا الحذف للتخفيف، فيقول: "ومما حذفوا من الحروف لاجتماعها مع لام التعريف، لام "على" فيما حكاه سيبويه من قولهم: عَلْماءِ بنو فلان، يريدون: على الماء، فهمزة الوصل سقطت في الدرج، وألف "على" سقطت لسكونها، وسكون لام "الماء"، وحذفت لام "على" تخفيفا"[٥].

وكذا حذفهم همزة الكلمة المتصلة باللام الموطئة للقسم مع حذف نون التوكيد، كقولهم: لضربك، ولموتك، ولربيك، يريدون: لأضربنك، ولأموتنك، ولأربينك، وهكذا.

---

(١) ينظر: التصريح، ٢/ ٢٩

(٢)هو المغيرة بن حبناء، من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان به برصٌ... الشعر والشعراء ١/ ٢١٣

(٣) الشعر والشعراء ١/ ٢١٣

(٤) كتاب سيبويه ٢/ ٤٣٠.

(٥) أمالي ابن الشجري ٢/ ٤ وانظر كذلك: شرح ابن يعيش للمفصل ١٠/ ١٥٥.

ومن صور الحذف على مستوى الفعل حذفهم أحد الياءين من اللفظة "يستحيى" ويحذفون الياءين حين تتصل بواو الجماعة، فيقولون: يستحوا، ويحذفون الألفين، الأولى والثانية من اللفظة "امرأة" فيقولون: مَرَه" ومنها: مرتك، ومرتو، وتقلب "النون" تاء ثم تُدغم فى التاء من اللفظة "بِنْت" لتصير "بت"، كما يبدلون الدال من اللام، ويدغمون الدال فى الدال من اللفظة "ولد" فيقولون: "ود" وحين النداء لا يبقى منها إلا "حرف الدال" فيقولون: "ياد يا فلان" و: إنت ياد...

ويحذفون الياء ويشددون الحرف اللاحق بها فيقولون: لمُّون، يريدون: ليمون، ويحذفون "الواو" من الفعل "يتوكل" فيقولون: "يتِّكل" ويستعيضون عن الواو بتشديد الحرف السابق للمحذوف، وكذا الأمر فى اللفظة "جوعان" يعدلون عن هذه البنية إلى حذف الواو وتشديد العين فتصير الكلمة "جَعَّان، وهكذا.

اختلاس الحركة الطويلة:

الاختلاس فى اللغة: الأخذ فى نهزة، ومخاتلة، وخلست الشىء واختلسته إذا استلبته[١] واصطلاحًا: هو الإسراع بنطق الحركة إسراعًا يحكم السامع له أنّ الحركة قد ذهبت، بينما هي كاملة في الوزن. والحرف المختلس يظن السامع أنّ حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، في حين أنها كاملة في الوزن تامة في الحقيقة، إلا أنَّها لم تمطط[٢]. وفيها تقصر الحركة حتى تبلغ ثلثيها[٣] وذهب البنا الدمياطى إلى إطلاق الاختلاس على الروم[٤] والدراسة لا تتفق مع ما قال به الدمياطى، حيث إن اللغويين والقراء قدروا الروم بثلث الحركة، على حين أنهم قدروا الاختلاس بثلثيها، وقصروا الروم على الوقف دون الوصل أما الاختلاس فلم يقصروه على الآخر[٥] وذهب الجمهور على أن الروم يشمل

(١) اللسان، "خلس" ٦/ ٦٥

(٢) ينظر: التحديد/ ٩٧، والموضح/ ١٩٢، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد/ ٥١٢

(٣) إبراز المعانى، ص ٣٢٦

(٤) إتحاف فضلاء البشر، ١/ ١٢٦

(٥) إبراز المعانى، ص ٣٢٦، سراج القارئ، ص ١٥٠، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٣٥٣ ٣٥٣

يشمل الحركات الثلاث خلافًا للفراء الذى استثنى الفتحة[١] معللاً ذلك بأن الفتح لا جزء له؛ لخفته، وجزؤه كله، إلى جانب أنه لم يسمع روم المفتوح[٢] وذكر الأزهرى أن القراء السبعة موافقون لمذهب الفراء[٣] وقد قُصر الاختلاس على المكسور والمضموم، يقول سيبويه: "وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسًا، وذلك قولك: يضربها ومن مأمنك، يسرعون اللفظ، ومن ثم قال أبو عمرو: ٹ ڈ چ ڃ ڃ ڃ چ [البقرة: ٥٤] ويدلك على أنها متحركة قولهم: من مأمنك فيبينون النون فلو كانت ساكنة لم تحقق النون"[٤] وعلل سيبويه عدم ورود الاختلاس فى المنصوب؛ "لأن الفتح أخف عليهم"[٥]

ومن صور الاختلاس الواردة فى القراءات القرآنية، قراءة "يؤده" من سورة آل عمران، قوله تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٧٥] إذ قرأ الجمهور "يؤده" –بكسر الهاء ووصلها بياء– وقَرَأَ نَافِع فِي رِوَايَة الْحلْوانِي {يؤده} بالاختلاس، وحجته أَن الكسرة تدل على الْيَاء وتنوب عَنْهَا[٦].

ولا شك أن ظاهرة الاختلاس من صور مرونة العربية، واتساع معينها، فالاختلاس هنا يحقق التنوع فى حركات الأصوات، حيث إنه "منزلة بين الحركة والسكون ليجمع بين التخفيف والتنبيه على الأصل"[٧] وقد عد الدكتور غالب المطلبى أن ظاهرة الاختلاس

(١) شرح الشافية ٢/ ٢٧٥، وشرح التصريح، ٢/ ٣٤١
(٢) شرح الشافية، ٢/ ٢٧٥
(٣) شرح التصريح، ٢/ ٣٤١
(٤) الكتاب، ٤/ ٢٠٢
(٥) الكتاب، ٤/ ٢٠٢
(٦) حجة القراءات، لأبى زرعة، ١٦٦ – ١٦٧
(٧) البيان فى غريب القرآن، ١/ ١٧٢.

مرحلة سابقة للتخفيف والتسهيل، أى أنه مرحلة بين التحقيق والتسكين[١]، وهذه الظاهرة تعد مظهرًا من مظاهر الاختلاف اللهجى بين القبائل.

وتبدو ظاهرة اختلاس حروف المد فى لهجة البراهمة فى بعض الكلمات، فتلحظ الدراسة أنهم يختلسون صوت الياء؛ ليكون حركة قصيرة من جنسها حين ينطقون ببعض الكلمات، فيقولون: جران، وفران[٢]، ومزان، وحِتان، وحِطَان (جمع حائط)، وزدان، وجهان يريدون: جيران، وفيران، وميزان، وحيتان، وحيطان، وزيدان، وجيهان، كما أنهم يختلسون الياء من لفظة "الشيخ" حين تأتى لموصوف بها فيقولون: الشِّخْ حامد، الشِّخ عوض، الشِّخ حسين، أو قولهم: سِدْنا الشيخ .

ويختلسون الألف من بعض الكلمات، فتصير حركة قصيرة من جنسها، فيقولون: القنَوية، والإسنَوية، والبرَهمية، والسوهَجية، والجيزَوية، والعرقية، والعبَدية، وأصلها: القناوية، والإسناوية، والبراهمية، والسوهاجية، والجيزاوية، والعراقية، والعبادية.

– الحذف لقرينة التنغيم:

ظاهرة التنغيم ترتبط باللغة التداولية أكثر من اللغة المكتوبة، ولذا تأخذ ظاهرة التنغيم حيز الصدارة فى الدراسات اللهجية، لأن المجتمع العربى ولا سيما المجتمع الذى يدور حوله البحث، تأخذ ظاهرة التنغيم فى سياق حراكه الفكرى والمجتمعى النصيب الأكبر، فهم يجيدون هذه الظاهرة وتخيم على شتى معاملاتهم، فتلحظ الدراسة أنهم يحذفون أداتى الاستفهام المجاب عنهما بنعم أو لا، مستعيضين عن المحذوف بالتنغيم، فحين يسألون البائع أو غيره يستغنون عن ذكر أداتى الاستفهام "الهمزة" أو "هل" فيقولون: معك كذا؟ وعندك كذا؟ بنغمة استفهامية، يريدون: أمعك كذا؟ و: أعندك كذا؟ وهذه الظاهرة من أبلغ الظواهر اللغوية التى تميز اللهجات عمومًا، ومنها لهجة البراهمة حيث إن التنغيم يحظى بنصيب كبير فى توجيه الأساليب اللغوية، بين الاستفهام والإنكار والتعجب والتهويل والاستهزاء والسخرية، والتهديد والوعيد، فحين يقولون: لا ياشيخ، أو: لا يا راجل، فإنَّها تحمل كثيرًا من المعانى التى ينهض فيها التنغيم قيمة خلافية

(١) ينظر: فى الأصوات اللغوية، دراسة فى أصوات المد العربية، ص ٢٠٩

(٢) إذا سلمنا أن اللفظة "فئران" صارت فى لهجتهم فيران، حيث إن الهمزة لم يكن لها وجود فى هذه اللفظة وما شابهها من ألفاظ.

موجهة للمعنى الذى يقصده المرسل، ويفهمه المتلقى، ونجد ذلك واضحًا حين يقول أب لابنه يراه خارجًا على أوامره، أو لا يستذكر دروسه بجد فيما هو مغرم باللعب والخروج وما إلى ذلك فيقول له متحديًا بنغمة تحمل معنى التهديد والوعيد: شد حيلك، والعب براحتك، كما يقوم التنغيم بدور مهم فى العلاقات الاجتماعية بين الكبار والصغار وهو ما يعرف فى اللغة بالتلطف اللغوى، فحين يطلب أحد المسنين من أحفاده طلبًا ما فيقصر فيه الحفيد، فإن الجد لا يؤنبه صراحة أو يكيل له العتاب أو اللوم، وإنما يكتفى بكلمة واحدة فيقول له: "كتر خيرك يا فلان"، أو شكرًا يا فلان!! بنغمة فيها بعض التأنيب، قد لا يحسه الحفيد، وقد ينال من نفسيته طوال حياته إن فهم مغزاه.

كما تجد التنغيم واضحًا فى أحاديثهم وحواراتهم ومداعباتهم وسخريتهم، ودليل جدهم وهزلهم، وقد يؤدى إلى الكثير من المشاحنات ويغرس بينهم العداوة والبغضاء.

ولا شك أن هذه الظاهرة من الظواهر اللغوية المهمة فى الدرس اللغوى التداولى، حيث يقع عليها مدار المعنى وتوجيهه، وذلك لأنَّ ظاهرة التنغيم فى الجملة تُعدُّ إحدى القرائن اللفظية التى تحدد رسالة المتكلم وتبليغها، ولذا فإنَّ النغمة التى قيل بها الكلام قد يتوقف عليها مدلوله ومعناه، وقد تُغْنِى عن بعض الأدوات كأدوات الاستفهام مثلاً، وقد تُغْنِى عن ذكر الألفاظ الجارحة، ومن ثم كان التلطف فى أسلوب العربية، وذلك لأن الكلام المسموع واللغة التداولية أكثر وضوحًا من اللغة المكتوبة، ومن خلالها يمكن الاستغناء عن بعض الكلمات أو العبارات، لأن وجود السياق والتنغيم جديران باستحضار المستغنى عنه فى الجملة والقيام مقام المحذوف والدلالة عليه، يقول أستاذنا الدكتور تمام:"إنَّ وجود النبر والتنغيم بالذات فى الكلام المسموع دون المكتوب، يجعل الأول أقدر فى الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه من الثانى"[(١)] فقد تغير النغمة المعنى نظرًا لتغير المبنى، فقد تكون النغمة عريضة أو رفيعة، أو طبيعية أو شديدة العلوّ أو عالية أو متوسطة أو دنيا"[(٢)] ويبدو أنَّ كل أسلوب نحوي يتفق مع نمط تنغيمي خاص به، فما يقتضيه أسلوب الاستفهام مثلاً يختلف عما يقتضيه أسلوب التوكيد، وكذلك في أسلوب النفي وأسلوب الندبة والتفجع

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ، د: تمام حسان ، ص: ٤٧

(٢) مبادئ علم الأصوات العام ، ديفيد أبر كرومى ، ترجمة : د: محمد فتيح ، ط١ ، ص: ١٥١

وغيره[١] فالأساليب النحوية يقع كلٌّ منها في نمط تنغيمي خاص به[٢].

ثالثًا: الإدغـــــــام

يعد الإدغام من أبرز الظواهر الصوتية، التى تهدف إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى؛ بغية التخفيف وتحقيق الاتساق والانسجام بين الأصوات، وقد كان لعلماء العربية اهتمام كبير بظاهرة الإدغام، واعتبروها من أهم القوانين الصوتية التي اتبعها العرب في كلامهم[٣]، حيث إنَّ الأصل فيه " تقريب صوت من صوت"[٤] واللفظ بهما صوتًا واحدًا مشدَّدًا؛ بأنْ يتحد الحرفان في حرف واحد مشدَّد[٥]، قال الخليل: "التشديد علامة الإدغام"[٦]، وقد استعملت المصادر اللغوية التضعيف والتشديد على حد سواء، وليس ثمة مشكلة فى ذلك لدى البحث.

وقد عُرِّف فى الاصطلاح بأنه: "رفع اللسان بالصوتين دفعة واحدة، والوضع بهما موضعًا واحدًا إذا التقى المثلان فى كلمة والأول ساكن وكانا همزتين والأولى تلى الفاء"[٧] فالمتكلم يلفظ بساكن فمتحرك بلا فاصل من مخرج واحد، وهو "ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة، أو متقاربة "[٨] فيختفي أحد

---

(١) مناهج البحث فى اللغة، د: تمام حسان، ص:١٦٥، واللغة العربية معناها ومبناها، ص:٢٢٦، فى نحو اللغة وتراكيبها، د: أحمد خليل عمايرة ، ص: ١٧٣

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: ٤٧، ٢٩٧

(٣) درس قدماء العربية هذا الموضوع بعناية في مصنفاتهم كأبي عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه وابن جني. والكتاب، ٤/ ٤٣١ ، والخصائص، ٢ / ١٤١ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ٨٧، وعبقري من البصرة ، ٤٣ .

(٤) الخصائص ، ٢ / ١٤٠ .

(٥) ينظر: التطور النحوي ، ٢٩ .

(٦) العين ، ١ / ٤٩ ، وعلامة التشديد دالة على الإدغام في الخط والكتابة ، ويرمز لها بالشدة (ّ) فوق الحرف المشدَّد ، والشدّة علامة صوتية معناها إطالة في زمن نطق الصوت المشدَّد أو المدغم ، فضلاً عن معنى الاختصار في الرسم . ينظر: العربية الفصحى ، ٥٦ .

(٧) ارتشاف الضرب، ١٦٣/١، وشرح المفصل، ١٢١/١٠، والأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص ٨٧

(٨) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، ١٥٠ .

الصوتين في الآخر، وهذا هو معنى قول ابن جني: "إنَّ الإدغام فناء صوت في آخر"[١] بحيث يرتفع اللسان بحرفين ساكن فمتحرك، من مخرج واحد بلا فصل بينهما برفعة واحدة، ووضعه بهما وضعًا واحدًا[٢].

وقد كان غرضهم التخفيف، واقتصاد الجهد العضلي، لاستثقال توالي الأمثال على ألسنتهم، لذا لجئوا إلى دمج الحركات المتماثلة[٣] ومن هنا يكاد المحدثون يتفقون مع القدماء في سبب حدوث ظاهرة الإدغام، فقال الأوائل: "ليكون العمل من جهة واحدة " وقال المحدثون إنَّ الإدغام عملية عضويَّة فيها اقتصاد في الجهد[٤]. لأنَّ الغرض من الإدغام "هو التخفيف والسهولة، والتيسير في النطق"[٥]، ويشير إلى ذلك عبد القادر عبد الجليل حيث يقول: "إن تحقيق ظاهرة الإدغام في المستوى الصوتي ذو غرض قصدي، وهو التخفيف والتيسير في عملية الإجراء، فاللسان يعلوه الثقل وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها ثم يرتفع مرة ثانية، بغية تخفيف إنتاجية الصوتين، وشبهت هذه الحالة بمشي الإنسان المقيد أو كمن يعيد حديثًا مسموعًا مرتين، وفي هذا ثقل وسأم على المتكلم والسامع مما يوجب الإدغام"[٦].

لذا كان من مميزات القبائل البدوية التي سكنت وسط الجزيرة وشرقيها التي تميل إلى السرعة في الكلام، وكانت أكثر شيوعًا في لهجات القبائل النازحة إلى البيئة العراقية، وهي: تميم، وطيئ، وأسد، وبكر بن وائل، وتغلب، وعبد القيس[٧]. وينقسم الإدغام علـــى:

١- إدغام المثلين: وهو اتفاق الصوتين في المخرج والصفة، كالباء في الباء، والدال في الدال، وهكذا، وهذه الظاهرة لها ما يناظرها فى اللغة وهى ظاهرة ليست لهجية، بمعنى أنها ليست من الخصائص اللهجية التى اقتصرت على بعض القبائل أو الفروع.

---

(١) الخصائص ، ٢ / ١٣٩ .

(٢) ينظر: الكتاب، ٤ / ٤١٧ ، والمبدع في التصريف ، ٢٤٥ .

(٣) ينظر: إدغام القراء ، ١٧٤

(٤) ينظر: النظريات الصوتية فى كتاب سيبويه، ص ١٥١

(٥) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر ، ١٨٣ .

(٦) الأصوات اللغوية، ص ٢٩٩

(٧) ينظر: في اللهجات العربية ، د. أنيس، ص ٦٣ .

٢ – إدغام المتقاربين: وهو تقارب الصوتين في المخرج، أو الصفة، أو في كليهما معًا، والناظر فى هذا النوع من الإدغام يرى أنه يستلزم إجراء عمليتين صوتيتين وهما: حذف حركة الصوت المدغم؛ ليتم التقاء الصوتين بصورة مباشرة، ثم يقلب الصوت الأول صوتًا يماثل الثانى ليكون الإدغام(١)ومن صور الإدغام الواردة فى لهجة هذه القرية:

= الإدغام فى تاء الفاعل:

إدغامهم الدال فى تاء الفاعل، حيث تتأثر الدال المجهورة بالتاء المهموسة، فتقلب تاء وتدغم فيها(٢) نحو قولهم: تّ، وَجَتّ، حَمَتّ، وُلِتّ، عَبَتّ، سجتّ، قعتّ، قصتّ، يريدون: وجدتُ، وحمدتُ، ووُلِدْتُ، وعَبَدْتُ، وسَجَدْتُ، وقَعَدْتُ، وقَصَدْتُ، وذلك لأنَّ مخرجيهما متقاربان، فمخرج الدال من طرف اللسان وأطراف الثنيتين، ومخرج التاء من طرف اللسان وأصول الثنيتين، وهو في القرآن كثير(٣) ويمكن تفسير هذه الظاهرة بأن التاء أخت الدال في المخرج، والتاء حرف مهموس، فأبدلوا من التاء دالاً، ليقربوا بين الصوتين، وتتحقق بينهما المجانسة والتناسق الصوتي(٤).

وكذا إدغامهم الطاء فى تاء الفاعل؛ حيث تتأثر التاء بالطاء فتقلب طاء وتدغم فيها، كقولهم: خبطّ، خرطّ، حوطّ، شوطّ، هبّطّ، فرطّ، شرطّ، لخبطّ، قشطّ، وذلك لأنَّ التاء والطاء من مخرج واحد ..."(٥).

= إدغام تاء الافتعال فى الحرف اللاحق بها:

تلحظ الدراسة فى عملية الإدغام أن أهل البراهمة يدغمون التاء فى الحرف اللاحق بها فى البنية الصرفية "يتفعّل" أو "يتفاعل" لتصير "يفَعَّل" أو "يفَّاعل"، ومن ذلك:

إدغامهم التاء فى الجيم؛ حيث تتأثر "تاء" الافتعال المهموسة بالجيم المجهورة بعدها، فتقلب جيمًا وتدغم فيها، ويتحقق ذلك فى قولهم: يجّنبوا، يجَّرعوا، يجّلدوا، يجَّمعوا، يجَّافى، يجّهزوا، يجَّوزوا، يجَّبروا، وذلك لقرب مخرجى التاء والجيم.

---

(١) الممتع، ٢/ ٧٠٧، وأثر القراءات فى الأصوات، ص ٢٤٠

(٢) ينظر: لهجة برديس المعاصرة دراسة وصفية فى الأصوات والبنية، د. حازم على كمال الدين، رسالة ماجستير، نسخة الباحث، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الورقة ١١٦

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش ، ١ / ٢٨٣ .

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب ١٨٥/١، وشرح المفصل ٤٨/١٠.

(٥) معانى القرآن وإعرابه، ٢ / ٨٢ .

والتاء فى الدال، حيث تتأثر تاء الافتعال المهموسة بالدال المجهورة بعدها فتقلب دالاً وتدغم فيها[١]، كقولهم: يدّاوى، يدَّحرج، يدَّرج، يدَّلى، يدّهور.

كما يدغمون التاء فى الذال، حيث تتأثر تاء الافتعال المهموسة بالذال المجهورة، فتقلب ذالاً وتدغم فيها، كقولهم: يذّلّوا، يذّكروا، يذّمروا، يذّبحوا، ومن هذا الإدغام وقف بعض العلماء والقراء عند اللفظة "متذكر"[٢] فينطقونها: "مِذَّكر"، حيث يرى مكي القيسي أنَّ الإدغام فى هذه اللفظة حدث بعد الإبدال في قوله تعالى: چ گ گ گ چ [٣] ، فيقول: "أصله "مذتكر" فهو مفتعل من الذكر، لكن الذال حرف مجهور قوي، والتاء مهموسة ضعيفة، فأبدلوا من التاء حرفًا من مخرجها مما يوافق الذال في الجهر وهو الدال، ثمَّ أدغمت الذال في الدال، ويجوز "مذَّكر" بالذال، على إدغام الثاني في الأول، وبذلك قرأ قتادة"[٤].

وإدغام التاء فى السين؛ حيث تتأثر تاء الافتعال المهموسة بالسين المهموسة بعدها، فتقلب سينًا وتُدغم فيها[٥]، كقولهم: يسَّرعوا، ويسّابقوا، ويسَّحروا، ويسّاندوا، ويسَّوقوا، ويسّمعوا، ويسّربوا، ومن صور هذا الإدغام ما ورد فى قراءة بعضهم: ٹ ٹ چچ چچ [الصافات: ٨] يريد بها: يتسمعون[٦]، ويفسر ذلك بأن "يسمح للهواء بالمرور مع التاء، فتصبح رخوة فتشبه السين كل المشابهة، ومن ثم يكون الإدغام على سبيل التأثر الرجعى"[٧].

وإدغامهم التاء فى الشين، حيث تتأثر تاء الافتعال المهموسة بالشين المهموسة بعدها، فتقلب شينًا وتدغم فيها[٨]، كقولهم: يشَّمسوا، يشَّاقى، يشّاكل، يشَّاغل، يشَّاوروا، يشّردوا، وذلك لاتفاق الصوتين فى ديناميكية حدوث الصوت، حيث يسمح للهواء بالمرور

---

(١) لهجة برديس، مرجع سابق، الورقة ١١٤

(٢) هذه اللفظة هكذا بقلب الصيغة الصرفية مفتعل إلى متفعل

(٣) القمر ، ١٥ ، ١٧ ، وينظر: مختصر الشواذ لابن خالويه ، ١٤٨ .

(٤) مشكل إعراب القرآن ، ٢ / ٦٩٧ .

(٥) لهجة برديس، مرجع سابق، الورقة ١١٧

(٦) الكتاب، ٤/ ٤٦٣، البحر المحيط، ٧/ ٣٥٣، إتحاف فضلاء البشر، ٢/ ٣٥٨

(٧) الأصوات اللغوية، ص ١٩١، ظاهرة الإتباع، ص ٣١٤

(٨) لهجة برديس، مرجع سابق، الورقة ١١٧

مع التاء فتلمس مقدمة اللسان السقف الصلب، وتكون متقدمة بحيث تلامس اللثة، ومن ثم يكون إدغام التاء فى الشين.

ومن ذلك إدغامهم التاء في الصاد، حيث تتأثر تاء الافتعال المهموسة بالصاد المهموسة بعدها، فتقلب صادًا وتُدغم فيها[١]، كقولهم: يصَّالحوا، يصَّافحوا، يصّوروا، يصَّرفوا، يصَّدَّروا، ويفسر ذلك بتقارب مخرجى التاء والصاد؛ فمما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا مخرج التاء، أما صوت الصاد فيخرج من بين طرف اللسان وفويق الثنايا محدثًا صفيرًا قويًا، وهو مهموس، رخو، مستعلٍ، مصمت[٢].

وكذا التاء فى الضاد، حيث تتأثر تاء الافتعال المهموسة بالضاد المجهورة بعدها، فتقلب ضادًا وتدغم فيها[٣]، وذلك كقولهم: يضَّرعوا، يضَّاعفوا، يضّعضعوا، يضَّوروا، يضَّرروا.

والتاء فى الطاء، حيث تتأثر تاء الافتعال المهموسة بنظيرها المفخم الطاء بعدها، فتقلب طاءً وتُدغم فيها[٤]، ومن ذلك قولهم: يطَّهروا، يطَّبعوا، يطّوعوا، يطَّلعوا، يطَّعموا، يطَّيبوا، يطببوا،منوا، يطَّلبوا، يطَّرقوا.

والتاء فى الظاء، حيث إنهما "من حيز واحد ولا يمتنع بعضهن من بعض فى الإدغام"[٥] لذا تتأثر تاء الافتعال بالظاء بعدها، فتقلب ظاء وتدغم فيها كقولهم: يظّاهروا، يظَّللوا، يظَّلموا.

وخلاصة القول يمكننا الاستناد إلى ما قاله ابن الجزرى من أن التاء تدغم فى عشرة أحرف، هى: الثاء والجيم والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء[٦]. وهذا تفسير كافٍ لحدوث هذه الظاهرة فى لهجة البراهمة.

= إدغام "تون" الانفعال فى الحرف اللاحق بها:

---

(١) لهجة برديس، مرجع سابق، الورقة ١١٨

(٢) أصوات اللغة العربية د٠ الدابولى، ص ٩٧ ٠

(٣) لهجة برديس، مرجع سابق، الورقة ١١٨

(٤) لهجة برديس، مرجع سابق، الورقة ١١٦

(٥) الكتاب، ٤/ ٤٦٤

(٦) النشر، ١/ ٢٨٧

وتلحظ الدراسة أنهم يدغمون النون فى بعض الأحرف اللاحقة بها فى البنية الصرفية "ينفعل" ومن ذلك:

إدغامهم النون فى الدال؛ حيث تتأثر النون المجهورة بالدال المجهورة بعدها، فتقلب دالاً وتُدغم فيها، ولأن هذه النون ساكنة يجرى فيها النفس خلال تجويف الأنف من غير عائق، فإذا طرأت على الخيشوم آفة تمنع الجريان رأيت النون أقرب إلى التاء[١] ومن ذلك قولهم: يدّس، ومِدَّس، أو مِدَّسة، يدّفع، يدّلق، يدّل، يدّبح، يدِّمل.

ويدغمون النون فى الجيم فيقولون: يجّرح، يجّذب، يجّدع، حيث تتأثر النون بالجيم المجهورتين، ومسوغ إدغامهما أن مخرج الجيم من الخياشيم كما هو شأن النون، لذلك أدغمت النون فى الجيم.

والنون فى الزاى، حيث تتأثر النون المجهورة بالزاى المجهورة بعدها، فتقلب زايًا وتُدغم فيها، لأنها تخرج من بين الثنايا وأسلة اللسان، فينحصر الصوت هناك، فينسل انسلالاً، فيخرج بقوة الريح من طرف اللسان كأنه خارج عن ضغط ثقب شبيه بصفير طائر[٢] وذلك كقولهم: يزّوى، يزّجر، يزّرع، يزّلق، يزِّعج.

ويدغمون النون فى السين، حيث تتأثر النون المجهورة بالسين المهموسة بعدها، فتقلب سينًا وتدغم فيها، وذلك لأن السين صفيرية وتتسم بقوة الاحتكاك، وأن نفس المقدار مع الثاء يجب أن يمر مع السين خلال منفذ ضيق[٣] وذلك يتحقق فى قولهم: يسّاب، يسّحب، يسّاق، يسَّل، يسّدل.

وتدغم النون فى الصاد، حيث تتأثر النون المجهورة بالصاد المهموسة بعدها، فتقلب صادًا وتدغم فيها، ومن ذلك قولهم: يصّرع، يصّدع، يصَّرف، يصِّلح.

وكذا النون فى الشين؛ حيث تتأثر النون المجهورة بالشين المهموسة بعدها، فتقلب شيناً وتُدغم فيها، ومن ذلك قولهم: يشّغل، يشّرح، يشِّوى، يشِّطر.

---

(١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدورى الحمد، ص ٣١٢

(٢) ينظر: المقتضب، ١/ ١٩٣، وينظر: شرح المفصل، ١٠/ ١٣٠، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدورى الحمد، ص ٣١٥

(٣) ينظر: دراسة الصوت اللغوى، د. أحمد مختار عمر، ص ٩٨

والنون فى الضاد؛ حيث تتأثر النون المجهورة بالضاد المجهورة بعدها، فتقلب ضادًا وتُدغم فيها، كقولهم: يضّوى، يضّام، يضّرب.

والنون فى الطاء؛ حيث تتأثر النون المجهورة بالطاء المجهورة بعدها، فتقلب طاءً وتُدغم فيها، كقولهم: يطّوى، يطّبق، يطّرح، يطّلق.

ويمكن تفسير إدغام هذه الأحرف فى "النون" الساكنة فى البنية الصرفية "ينْفَعِلْ" إلى أن النون الساكنة صارت سالبة الحركة، فسهل إدغامها فى الحرف المتحرك اللاحق بها، وبرغم أن الإدغام فى هذه البنية تم بين حروف قد تكون متباعدة فى المخرج والصفة، لكنها –فى هذه اللهجة– طوعت الإدغام ولم يشعر السامع بأى نشاز أو نبو، ويمكن رد ذلك إلى أن سلب حركة النون أدى إلى تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، واختفى الحرف الساكن فى الحرف المتحرك وأدغم فيه، وساعد على ذلك أيضًا سرعة النطق وعدم إعطاء الحرف حقه الصوتى فى النطق والأداء.

وهكذا يمكن القول إن لهجة البراهمة لم تخرج عن الأصول اللهجية للعربية، ففى الإدغام ينحو الجهاز الصوتى نحو الخفة والاقتصاد فى الجهد العضلى مع المحافظة على الخصائص القيمية للغة، فقد سمح الجهاز الصوتى لإدغام بعض الحروف المتقاربة والمتماثلة دون حدوث الثقل والاضطراب.

رابعًا: النحت فى لهجة البراهمة:

من الظواهر اللغوية التى عرفتها اللغات، وهى من الوسائل التى تلجأ إليها اللغات لتكوين كلمات جديدة لم تكن فى صلب اللغة، أو رغبة فى التخفيف من خلال تكوين كلمة من كلمتين أو أكثر، وهو في اللغة: القطع والنقص والقشر والبَرْيُ[1]. ومعناه الاصطلاحي مأخوذ من معانيه اللغوية؛ فقد عرفه ابن فارسٍ بقوله: "ومعنى النحتِ أن تؤخذ كلمتان؛ وتنحت منهما كلمة؛ تكون آخذةً منهما جميعًا بحظٍّ"[2]. وللعلماء المحدثين تعريف آخر وهو: "أن تعمد إلى كلمتين، أو جملة، فتنزع من مجموع حروف كلماتها، كلمة فذة، تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها"[3]. ويرجع السبب فى لجوء مستعملى اللغة إلى

(١) ينظر: التهذيب، ٤٤١/١٤، واللسان (نحت) ٩٨/٢.

(٢) المقاييس، ٢٢٨/١، ٢٢٩.

(٣) ينظر: الاشتقاق والتعريف، ص١٣، والنحت في اللغة العربية، ص٦٦، ١٦٣، فصول فى فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، ط ٣/ ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤م، ص ٣٠١

النحت، لحاجتهم إلى السرعة والتخفيف والهروب من الثقل؛ باعتبار أن النحت جنس من الاختصار[١]؛ وهو لون من ألوان التركيب[٢]، إلاَّ أنَّه يختلف عنه بأنه تُنتقص فيه المواد المنحوت منها وتُخْتَزل؛ بخلاف التركيب الذي يُبقي على بنيتي الكلمتين.

ومما ورد فى لهجة البراهمة من هذه الظاهرة، نحتهم بعض الألفاظ من خلال ضم كلمتين فتنزع من حروفهما بعض الحروف، كقولهم: منين، فين، أى: من أين، فى أى مكان، أو أين بزيادة فى.

كما نلحظ نحتهم بعض التعبيرات من جمل تامة، كقولهم: معنديش، ومشتقاتها المتصلة بالضمائر، أى: ما عندى شيء، وقولهم: مفيش، أى: ما فيه شىء، وقولهم: مليش، أى ما لى شىء، وقولهم: معلش، أى: ما علىَّ شىء، وهى عبارة للأسف والاعتذار والندم، وقولهم: دلوقتى، أى: فى هذا الوقت، أو حالاً.

وكذا فى الجملة الفعلية كقولهم: ملقيتش، ومعرفش، ومريتش، أى: ما لقيت شيئًا، وما أعرف شيئًا، وما رأيت شيئًا، بالإضافة إلى اتصال هذا التركيب ببعض ألفاظ عامية، كقولهم: مخلاش، ومسابش، أى لم يترك شيئًا.

ومن هذه الظاهرة نجدهم ينهون الكلمة بصوت الشين حين يأتى قفاها "كاف" الخطاب، فيقولون: معندكش، ومشفتكش، ومنسيتكاش، وغيرها... حيث لم تجد الدراسة لهذه الظاهرة تفسيرًا فى إلحاق الشين بهذه الألفاظ، إلا اعتبارها متصلة بظاهرة الكشكشة، ذلك إذا سلمنا بما قال به الزمخشرى من أنها زيادة الشين على الكاف، حيث يقول:"وهي الشين التي تلحق بكاف المؤنث إذا وقف من يقول: اكرمتكش، ومررت بكش، وتسمى الكشكشة، وهي في تميم"[٣]. أما باعتبارها إبدال "كاف" الخطاب شينًا، فهذا يبعد لهجة البراهمة عن هذه الظاهرة حيث إنها "إبدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث كعليش في عليك أو زيادة شين بعد الكاف المجرورة تقول: عليكش ولا تقول: عليكش بالنصب وقد حكى كذا كش بالنصب"[٤] وقد نحا الثعالبى نحو القائلين بالإبدال وليس الزيادة على

(١) ينظر: فقه اللغة للثعالبي، ص ٤٢١.

(٢) ينظر: دراسات في اللغة، د. إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦١م، ٥١، ٥٢

(٣) المفصل، للزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص ٤٦٣

(٤) شرح الكافية، للاسترابازى، ٢/ ٣٨١

"كاف" الخطاب، فقال: "الكَشْكَشَةُ تَعْرِضُ في لُغَةِ تَمِيم كقولهم في خِطَابِ المؤنَّثِ: ما الذي جَاءَ بِشِ ؟ يُرِيدُونَ: بِكِ"[1] وعليه تكون ظاهرة إلحاق الشين فى آخر الكلمات المنتهية بكاف الخطاب ليست من ظاهرة الكشكشة فى شىء، اللهم إلا أن تكون تحويرًا لَحِقَ بهذه اللهجة نتيجة التطور اللغوى الناجم عن عوادى الزمن.

المبحث الثانى: التغيير بالترتيب والإبدال:

يكون هذا التغيير فى بنية اللفظة، بتغيير حركتها أو تبديلها، أو تعاقب صوت لصوت آخر يتقارب معه فى المخرج أو فى الصفة، أو أخف منه مخرجًا، أو تفاديًا لثقل قد يحدث لمقابلة صوت آخر.

أولاً: الإتبـــاع الحركـــي :

الإتباع ظاهرة صوتية توجبها دواعي المماثلة التي تؤدي إلى التقريب الصوتي[2]، والانسجام بين الحركات المتباينة في الكلمة الواحدة، أو الكلمتين، ويقع فيها تأثير إحدى الحركات في الحركة المجاورة لها؛ طلبًا للخفة، ونزوعًا إلى تقليل الجهد المبذول في النطق، وهروبًا من انتقال اللسان من ضم إلى كسر، أو فتح، وهو من خصائص البيئة البدوية، إذ مال سكانها إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل، والانسجام الصوتي، ليعمل اللسان في الصوتين عملاً واحدًا[3].

ومن خلال ما توفر لنا من مادة نجد أن لهجة أهل البراهمة تميل إلى التقريب الصوتى فى بنية الكلمة، فمثلاً اللفظة "بيت" باؤها مفتوحة مخالفة جنس حركة الحرف التالى لها، ولكنها فى هذه اللهجة تُبدل حركتها لتكون من جنس حركة الياء فتكون مكسورة الأول فتنطق: بِيت، وكذا تنطق الألفاظ الآتية المعدولة عن، الفتحة: لِيَّل، عِيَّن، عِيَّش، بِيَّض، بِيَّع، تِيَّس، بِيَّن، غِيَّب، دِيَّن، دِيَّل، شِيَّخ، عبِيَّد، زِيَّد، حمِيَّد، غِيَّطــ، صِيَّد، سِينا، سِيَّل، خِيَّل، سِيَّف، صِيَّف، شِيَّن، زِيَّت، زِيَّن، ضِيق، ضِيَّف، غِيَّم، غِيَّر، دِيَّر، فِيَّض، قِيَّد، قِيَّض

(١) فقه اللغة وسر العربية، ص ٤٠٢

(٢) ينظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية، ص١٣، وأصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، ص ١٧٩ .

(٣) ينظر: اللهجات العربية في التراث ، ١ / ٢٧٣ .

–أى قيَّظ– ومنها القيضى[1] كِيَّف، كِيَّل، مِيَّل، حِيرة، غِيرة، زميل، حيث نجد كل هذه الكلمات قد صارت فيها حركة الحرف الأول من جنس الحرف الثانى لبنية الكلمة وهى الكسرة.

وتلحظ الدراسة أن ظاهرة الإتباع الحركى فى هذه الألفاظ أحدثت تغييرًا فى بنية اللفظة على مستوى الصوتين الأول والثانى، فلحق الصوت الأول الكسرة، وتضاعف الصوت الثانى، ويمكن تفسير ذلك بأنهم ينتقلون من الحركة الأثقل إلى الحركة الأخف منها ويستعيضون عن ذلك بزيادة صوت من جنس حركة الصوت المعدول إليه.

وكذا يعدلون عن الفتحة إلى الضمة لتكون حركتها من جنس حرف المد اللاحق بها كقولهم: ثُوَّب، ثُوَّر، حُوَّش، حُوَّض، حُوَّل، خوَّخ، رُوَّح، زوَّج –بقلب الأحرف– فيقولون: "جُوَّز" ذُوَّق، شُوَّق، شُوَّك، شُونة، صُوَّت، طوَّع، عُوَّم، غُوَّص، فُوَّق، قُوَّس، قُوَّم، كُوَّم، كُوَّن، لُوَّح، لُوَّز، لُوَّم، مُوَّت، مُوَّج، مُوَّز، مُوَّقف، نُوَّع، نُوَّق، نُوَّم، هُوَّل، يُوَّم، حتى يصل بهم الأمر إلى شمول الإتباع للحرف الأسبق لحركة الحرف التالى للاحق نحو قولهم: قُبول وضُرورى، يريدون: قَبول، وضَرورى.

حيث تلحظ الدراسة أن ظاهرة الإتباع الحركى فى هذه الألفاظ أحدثت تغييرًا فى بنية اللفظة، فعدلوا عن الأخف إلى الأثقل، رغبة فى عدم الانتقال من الأخف إلى الأثقل، لأن ذلك يتعارض مع الجهاز الصوتى، ومن ثم يؤدى ذلك إلى حدوث تغيرات فى بنية اللفظة، حيث انتقال الصوت الأول من الفتح إلى الضم، وتضاعف الصوت الثانى، ويمكن تفسير ذلك، بأنهم ينتقلون من الحركة الأثقل إلى حركة أخف منها ويستعيضون عن ذلك بزيادة صوت من جنس حركة الصوت المعدول إليه للمحافظة على اتساق اللفظة.

ثانيًا: العدول الحركى فى أصل الكلمة:

تعد الحركات فى اللغة العربية قيمة خلافية تميز بين معنى ومعنى آخر، كما تختلف الحركات فيما بينها قوة وضعفًا، خفة وثقلاً، وقد اختلفت اللهجات فمنها ما نحا نحو الخفة، ومنها ما ظل محتفظًا بأصالة ما تلقاه من اللغة ولم يركن إلى التغيير إلا باليسير، فالكلمة فى العربية تتكون من حروف وهذه الحروف تتباين فيما بينها خفة وثقلاً، وتتباين

---

(١) ومنها القيضى، نسبة إلى القيض أى القيظ وهو الذرة الرفيعة التى تنتشر زراعتها فى فصل الصيف، وقد نسبت إلى القيظ لأنها تكاد تكون هى المحصول الأشهر التصاقًا بفصل الصيف.

فى درجتها الصوتية وبعد مخرجها، ولذا فإن اللهجات تضع فى الحسبان المواءمة بين الحرف والحركة والرتبة؛ حتى لا يحدث الثقل فى النطق الناجم عن تقارب الحروف وتوالى المتشابهات وقد وجدنا فى لهجة البراهمة عدولهم عن الضم إلى الكسر، وكذا عن الفتح إلى الكسر، وسنقف عند كل حالة من هاتين الحالتين:

– العدول عن الضمة إلى الكسرة :

معروف أن الضمة أثقل الحركات، وأن الناطقين بالعربية يبحثون عن الخفة والهروب من الثقل الناجم عن مضاعفة الجهد العضلى، ولا شك أن هذه سمة من السمات التى أدت إلى التطورات اللغوية، وتعدد اللهجات المندرجة عن اللغة الأم، وقد وجدت الدراسة أن البراهمة يعدلون عن الضمة فى بداية الكلمات إلى الكسرة، فيقولون: مِحمد، وجِمْعة، ومِسلِم، ومِسلمين، وحِسين، ومِحسن، وسِعاد، ورِقية، ومِدثر، ومِزمل، ومِذيع، ومِدير، وسِعِيَد، وعِبيد، ومِهتم، ومِختلف، ومِهندس، ومِزارع، ومِخبر، ومِجرم، مِحرم، وهكذا فالأصل فى هذه الألفاظ مضمومة الأول، ولكنهم يعدلون عن الضم إلى الكسر لغرض التخفيف والهروب من الثقل، لأنَّ الضم أثقل من الكسر، ويفسر اللغويون ثقل الضمة إلى "احتياجها إلى تحريك عضلتين بخلاف الكسرة، فإنَّها لا تحتاج إلا إلى تحريك عضلة واحدة"(١). وعلل الخليل ثقل الضمة إلى الجهد العضلى المبذول فى تحريك الشفتين، حين أجاب أحد سائليه عمَّا إذا كان ثمة فروق بين الحركات أم لا ؟ فقال: "... أخف الأفعال عليك السمع؛ لأنَّك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة، إنَّما تسمعه من الصوت، وأنت تتكلف فى إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفى تحريك الكسر إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد"(٢).

وقد أثبت الدرس الصوتى الحديث ما أثبته القدماء من ثقل الضمة مقارنة بالحركتين الأخريين، إذ يقول الدكتور إبراهيم أنيس إنَّ: "الضمة هى التى تحتاج إلى جهد عضلى

(١) شرح الشافية لنقرة كار، ص ١٤، الكتاب، ٤/ ٣٧، ١٦٧، الخصائص، ١/ ٣٧٨، المنصف، ١/ ١٦٩، مشكل إعراب القرآن، ١/ ٧٩

(٢) الأشباه والنظائر، ١/ ٢٠٢

أكثر؛ لأنَّها تتكون بتحريك أقصى اللسان فى حين أن الكسرة تتكون بتحريك أدنى اللسان، وتحريك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه"[١] لذا لجأ لسان أهل البراهمة إلى العدول عن الضم إلى الكسر؛ رغبةً فى التخفيف والهروب من الثقل، ولهذه اللهجة جذورها الموغلة فى العربية، وليس أدل على ذلك من ورودها فى القراءات القرآنية فى غير موضع، فقد قرأ عاصم، وجماعة من أهل الكوفة (بِيوت) بالكسر، والاختيار عند الكوفيين الضم في (بُيوت)، ولم يروِ البصريون كسر الياء لأنَّه ليس في كلام العرب، ولا في أشعارهم[٢]، ووصف النحاس[٣] قراءة الكسر بأنها لغة رديئة، وفي موضع آخر[٤] ينسب قراءة الكسر إلى الكوفيين، فهي قاعدة صوتية عند النحويين الأوائل، قال المبرد: "أما ما كان من الياء فإنَّك تقول فيه إذا جاوزت أدنى العدد (فُعُول) لأنَّ (فُعُول، وفِعال) يعتوران (فَعْل) من الصحيح، وذلك قولك: كعْب كعوب، وفلْس فلوس، ويكونان معًا في الشيء الواحد، نحو: كعاب وكعوب، وفراخ وفروخ"[٥]، وهي قاعدة صوتية أيضًا عند سيبويه، قال: "وإذا أردت بناء أكثر العدد بنيته على (فعول)، وذلك قولك: بيوت، وخيوط، وشيوخ، وعيون، وقيود، وذلك لأنَّ فعولاً وفعالاً كانا شريكين في فعل الذي هو غير معتل.."[٦] .

- العدول عن الفتحة إلى الكسرة:

من المسلم به أن اللغة تنحو نحو الخفة والهروب من الثقل، وأن الفتحة أخف الحركات كما يؤكد ذلك اللغويون، لكن فى لهجة البراهمة يعدلون فى بعض المواضع عن الفتحة إلى الكسرة، ومن ذلك قولهم: إِحْمَدْ، مِدْرسةْ، مِخْزَنْ، مِحْرَقةْ، مِرْكَزْ، مِحْجَرْ، مِخْلَبْ، مِجْلِسْ، مِكتب، مِرْسَى، مِخْرَجْ، مِكْتَبَةْ، لِعْبْ، مِلْعَبْ، وغيرها، وإذا كان الواقع اللغوى لا يجد مبررًا لهذا العدول فى هذه اللهجة، على ما يقول به سيبويه، فالحرف الثانى فى كل هذه الكلمات ساكن، فليس ثمة ما يدعو إلى عدوله نحو الكسرة باعتبارها

(١) فى اللهجات العربية، ص ٩٦

(٢) ينظر: اللسان، "بيت" ٢٠/ ٦٧

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ، ٤ / ٢٣٤ .

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ، ١ / ٢٩١ ، ٤١٣ .

(٥) المقتضب ، ١ / ٢٦٩ . .

(٦) الكتـــــاب ، ٢ / ١٨٦ .

أثقل من الفتحة، حيث إن الفتحة أثقل من السكون، لأن نظرية سيبويه ترى أن النطق يتدرج من الأثقل إلى الأخف وليس العكس، حسب قوله: "وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل"(١).

ولكن الدراسة لا تجد لهذه الظاهرة تفسيرًا إلا أنها ترى أن اجتماع تخفيفين فى اللفظة قد يحول دون اتساق بنيتها، حيث عُدِل بها من الفتح إلى الكسر فى أولها، وقرئت بالوقف فى آخرها، فتكون اللفظة قد أُنهكت صوتيًا، ومن ثم يؤثر ذلك على دلالتها وخاصة أن هناك كلمات تحمل من الدلالة التعظيم والشدة، وهذا يعنى أن هذه الألفاظ ستكون غير متوازنة من ناحية الكمية الصوتية في أولها وآخرها؛ لأننا لو نظرنا إلى الحركات والسكون لوجدنا أن الأصوات الساكنة توازى الأصوات المتحركة، وهذا لا يتفق مع الأصول اللغوية لبنية المفردات العربية، فلما كان الأمر كذلك من حيث الفتح والسكون، ولم يتوفر فى المفردة حركة ثقيلة تتسق مع بنية المفردة ودلالتها لجأت اللهجة إلى كسر الحرف الأول كي تتعادل الكلمة صوتيًّا.

ثالثًا: كسر حركة حرف المضارعـــــة:

يكون أول الكلمة –فى العربية– متحركًا بإحدى الحركات الثلاث؛ لأنها لا تجيز الابتداء بساكن، وقد تتحول الحركة إلى غيرها لسبب من الأسباب، فتتحول الضمة أو الفتحة إلى كسرة مثلاً فى الإتباع، وفى صيغة المضارعة تستعمل العربية أربعة أحرف فى أول الفعل المضارع تكون مضمومة فى ذوات الأربعة، وتكون مفتوحة فى غيرها: ثلاثية أو خماسية أو سداسية، سواء أكانت أصولاً أم زوائد. وقد ورد من هذه اللهجة كسرهم "تاء" المضارعة سواء فيما كان أصله الضم أو الفتح، كقولهم: تِحقق، تِقرب، تِتعاون، تِتحلى، تِسعى، تِعرف، تِشاهد، تِسافر، تِبدأ، تِلهب، تِفكر، تِشترك، تِنسى، تِسند. وتكسر "النون" أيضًا، كما فى قولهم: نِلعب، نِمشى، نِجرى، نِدفع، نِشترك، نِقرا، نِعرف، نِسافر، نِتمنى، نِخطى، نِدخل، نِشترى، نِكلمه، نِصلحهم، نِقرب، نِحكى، نِخفف، كما تكسر "ياء" المضارعة أيضًا، ومن ذلك قولهم: يمسح، يسقف، يفكر، يدفع، يولى، ينسى، يسلم،

(١) الكتاب، ٤/ ١١٤

يسامح، يدافع، يقطع، يكون، يهدى، يشاهد، يراقب، يميز، يخاصم، يحارب، يعتدى، يسعى، يونِّس، يسرب، يقرب، يسابق، يفوز، هذا من حيث كسر حروف المضارعة المجموعة فى الشكل "أنيت".

وقد لحظت الدراسة أن أهل البراهمة يكسرون حروف المضارعة ما عدا "الألف".

ومما يجدر ذكره أن هذه الظاهرة لم تكن بدعًا من العربية، أو وافدة مما وفد إثر الفتوحات أو الاختلاط بالأجناس الأخرى، ولكنها ظاهرة معروفة فى اللغة ولها أصولها فى اللهجات العربية التى اختصت بها بعض القبائل العربية الموغلة فى القدم، وقد عُرفت هذه اللهجة "بالتلتلة" قال ابن جني: "وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون: تِعلمون، وتِفعلون، وتِصنعون، بكسر أوائل الحروف..."(١)، وبهراء عمارة من قضاعة (٢). وقد جعل سيبويه هذه اللهجة شائعة لدى القبائل العربية ما عدا الحجاز، حيث يقول: "وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تِعلم ذاك، وأنا إعلم، وهي تِعلم، ونحن نِعلم ذاك. وكذلك كل شيء فيه فعل من بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن لام أو عين، والمضاعف. وذلك قولك: شقيت فأنت تِشقى، وخشيت فأنا إخشى، وخلنا فنحن نِخال، وعضضتن فأنتن تعضضن وأنت تِعضين"(٣). وعزاها أيضًا ابن منظور إلى كثير من القبائل العربية بقوله: "وتِعلم بالكسر لغة قيس وتميم، وأسد، وربيعة، وعامة العرب، وأما أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن، وأزد السراة، وبعض هذيل فيقولون: تَعلم والقرآن عليها، وزعم الأخفش أن كل ما ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا تِعلم بالكسر"(٤).

وبهذا تكون كل اللهجات العربية القديمة قد اتفقت في كسر حرف المضارعة إلا لهجة الحجاز، وقد عد ابن فارس ذلك من اختلاف لغات العرب، فمنها "الاختلاف في الحركات كقولنا: نَستعين، ونِستعين بفتح النون وكسرها، قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش وأسد، وغيرهم يقولون بكسر النون ..."(٥).

---

(١) الخصائص ، ٢ / ١٣ .

(٢) ينظر: نهاية الأرب ، ١ / ١٨٢ ، ومعجم قبائل العرب ، ١ / ١١٠ .

(٣) الكتاب، ٤/ ١١٠

(٤) لسان العرب، "وفى" ، ٢٠/ ٢٨٣ ، وفصول فى فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ١٢٤

(٥) الصاحبي، ٢٨ .

ومنهم من قصر هذه اللهجة على بعض القبائل العربية فذهب أبو حيان إلى أن الكسر لغة فاشية فى تميم وقيس وربيعة ومن جاورهم إلا فى الياء فيفتحونها، وأما كلب فالكسر عندهم فى الحروف الأربعة[١]

وقد أبان سيبويه عن أسباب ورود هذه الظاهرة وخصائصها بقوله: "واعلم أن كل شيء كانت ألفه موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف في فعل فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء. وذلك لأنهم أرادوا أن يكسروا أوائلها كما كسروا أوائل فعل، فلما أرادوا الأفعال المضارعة على هذا المعنى كسروا أوائلها كأنهم شبهوا هذا بذلك. وإنما منعهم أن يكسروا الثواني في باب فعل أنها لم تكن تحرك فوضعوا ذلك في الأوائل. ولم يكونوا ليكسروا الثالث فيلتبس يَفعل بيَفعل وذلك: قولك استغفر فأنت تستغفر، واحرنجم فأنت تِحرنجم، واغدودن فأنت تِغدودن، واقعنس فأنا إقعنسس"[٢].

وقد علل سيبويه كسر حرف المضارعة فى هذه اللهجة بقوله: "وإنما كسروا هذه الأوائل لأنهم أرادوا أن تكون أوائلها كثواني فَعِلَ كما ألزموا الفتح ما كان ثانيه مفتوحًا في فَعَل، وكان البناء عندهم على هذا أن يجروا أوائلها على ثواني فعل منها"[٣].

وقد وردت على هذه اللهجة قراءات لبعض القراء ذكرها جل اللغويين والمفسرين، وقد ذكر أبو حيان بعض القبائل التى تشيع فيها هذه اللهجة، وزاد أبو جعفر الطوسى لغة هذيل[٤]. وعن أبى حاتم أنها لغة سفلى مضر[٥] وقال أبو حيان أيضًا فيما نقله أنها لغة لبعض كلب[٦] وهم بطن من قضاعة وكانوا ينزلون بادية الشام[٧]

---

(١) ارتشاف الضرب، ١/ ٨٨

(٢) الكتاب، ٤/ ١١٢

(٣) الكتاب، ٤/ ١١٠

(٤) البحر المحيط، ١/ ٢٣– ٢٤

(٥) السابق، ٨/ ١٨٤

(٦) السابق، ٣/ ٣٤٣

(٧) فجر الإسلام، ص ٧

وهذه الظاهرة ما زالت شائعة فى لهجات الشام إلى اليوم، ... كما أن بعض الدارسين أشار إلى أن ظاهرة كسر أحرف المضارعة –ما عدا الهمزة– متداولة فى لسان عوام المصريين(١).

رابعًا: الإمالـــــــة

من الظواهر المتصلة باللهجات، وقد اختصت بها بعض القبائل العربية، حيث تنحو بالفتح إلى الكسر، مخالفة التفخيم، وتقريب الحرف الأخير من حركة الحرف السابق عليه، وهى ظاهرة متصلة برغبتهم فى الاقتصاد والتخفيف والهروب من الثقل، لأنَّ الإمالة والتفخيم "لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس"(٢). والإمالة عند القدماء: أن تنحوَ بالألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة (٣). ويلحظ الدارسون في هذا التعريف المشهور صورتين للإمالة، الأولى: صوتية "طويلة"، والثانية: حركية "قصيرة"، لأنَّ المعرّفين حصروا الإمالة في الألف، سميت بـــ "ألف الإمالة، وهي التي نجدها بين الألف والياء"(٤)، وفي الحركات التي هي أبعاض حروف المد واللين "الألف والواو والياء"، قال سيبويه: " فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو"(٥).

وقد عُرفت الإمالة عند المحدثين بأنها: "إحدى الظواهر الخاصة بنطق الفتحة الطويلة نطقًا يجعلها بين الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة"(٦) أو "هي نطق الألف في حالات لغوية محددة نطقًا خاصًا قريبًا من نطق الياء .. "(٧).

وقال مكي القيسي: "معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة .. "(٨). وعلى ذلك فهى من الممارسات اللهجية التى جرت عليها عادة بعض

---

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر، د. أحمد مختار عمر، ص ١٣٧

(٢) الكتـــاب، ٤ / ٤٣٢ ، وينظر: شرح المفصل ، ٩ / ٤٩ ، والنشر ، ٢ / ٢٤ .

(٣) ينظر: المقتضب، ٣ / ٤٢، وأسرار العربية، ٣٤٨ ، وشرح الجمل،٣ / ٢٥٣، الأشمونية،٤/ ٢٢٠

(٤) سر الصناعة ، ١ / ٦٤ .

(٥) الكتـــاب ، ٤ / ٢٤٢ .

(٦) علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، ٢٢٦ .

(٧) لهجة تميم ، ١٢٧ .

(٨) الكشف ، ١ / ١٦٨ ، و ينظر: التبصرة ، ١١٨ .

بعض القبائل العربية فى نطقها، ولم يكن لديهم تعليل لذلك إلا أن ألسنتهم تأقلمت على ذلك، ولكن العلماء يرون أن التخفيف والتيسير هما الغاية المنشودة فى الجهاز الصوتى والتخفيف من المجهود العضلى، كما أنها من الظواهر الصوتية التي يدعو إليها تقريب الصوت من الصوت[١] ويأتى سيبويه ليقرب الغاية المبتغاة من هذه الظاهرة بقوله: "ليكون عمل اللسان من وجه واحد"[٢] حيث إنها تؤدى إلى حدوث الانسجام الصوتى الذى يتلاءم مع قانون الجهد الأقل[٣].

وعلى الرغم من كون العملية العضوية في نطق الألف والفتحة واحدة، "فمخرج الفتحة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها، إلا أنَّ الفرق بينهما في الكمية، وكذلك الكسرة وياء المد متماثلتان في المخرج ووضع اللسان، كما أنَّ الضمَّة وواو المد متماثلتان فيهما أيضاً "[٤].

وتنسب الإمالة إلى "جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة العربية وشرقيها، وأشهرها تميم وأسد وطيىء وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب"[٥]. وعرف بعض أهل البصرة بالإمالة ، واشتهر أهل الكوفة بها، فالإمالة لغتهم[٦].

وقد اتسعت دائرة الإمالة في معظم القبائل العربية، وشاعت في كلامهم ، حتى أنَّها وردت على لسان العرب من مصر والمغرب والأندلس[٧]، ورويت عن أهل اليمن[٨]، الأمر الذي الذي جعل ابن يعيش يقول: "الإمالة أكثر كلام العرب"[٩]. ومما نلحظه من هذه الظاهرة فى فى لهجة أهل البراهمة أنها ليست واضحة كوضوحها فى القبائل القديمة حسب ما يؤكده

(١) اللهجات العربية في التراث ، ١ / ٢٧٥ .
(٢) الكتاب ، ٢ / ١٥٩ .
(٣) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ، ٣١٩ – ٣٢١ .
(٤) في اللهجات العربية (د. إبراهيم أنيس) ، ٥٦ .
(٥) في اللهجات العربية (د. أنيس) ، ٦٠ .
(٦) يؤيد ذلك كثرة الإمالة عند الكسائي وحمزة، وهما من قرّاء الكوفة، ينظر: السبعة، ١٤٥– ١٤٧، والتيسير، ٤٨ – ٤٩ ، والنشر ٦٢/٢ ، والإضاءة في أصول القراءة ، ٨ ، وقراءة الكسائي،٣٣– ٤٤
(٧) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ١ / ٣٥ ، و لهجة شمال المغرب، ٩٢ – ٩٥ .
(٨) ينظر: الهمع ، ٢ / ٢٠٤ .
(٩) شرح المفصل، ٢ / ٢٦٣ .

العلماء القدامى والمحدثون، ولا سيما القراء، ولكنهم لا يميلون إلا الكلمات المنتهية بألف ممدودة أو الاسم المقصور، ولا يظهر ذلك إلا بالتدقيق فى الاستماع لنطقهم هذه الكلمات، ومن ذلك قولهم: جِـــه، أتِى، جِرِى، نجِى، مشِى، سقِى، استوى، ارتوى، موسى، عيسى، يحيى، هدِى، ضحِى، مستشفى، مسقى، منأى، مأوى، وغيرها.

ومن الظواهر اللهجية التى تبدو واضحة فى لهجة أهل البراهمة، ما تلحظه الدراسة أنهم يميلون الكلمات المنتهية بهاء التأنيث المسبوقة بحرف اللين "الياء"، ومن أمثلة ذلك، قولهم: عطية، سنيه، سكنيه، مخفيه، بهيه، شقيه، شهيه، عربيه، محليه، ذكيه، وقيه، وفيه، لقيه، هديه، ورقيه، هنيه، صفيه، وغيرها. وكذلك ينحون نحو الكسر المسبوق بياء، نحو قولهم: مدينه، سفينه، سكينه، مخيفه، نضيفه، عجيبه، غريبه، وهيبه، سعيده، وحيده، فريده، شفيقه، حبيبه، رتيبه، لئيمه، وليمه، فهيمه، بهيمه، لبيبه، نعيمه، وغيرها.

حيث نجد هذه الألفاظ تنتهى بالإمالة فى نطقها عند أهل هذه القرية، فينكسر الصوت فى الحرف قبل الأخير؛ حيث يكون قد اكتمل النطق بالكلمة وتتخذ الهاء حركة الكسر المطلقة.

والجدير بالإشارة أن هذه اللهجة ليست غريبة على العربية، وإنما لها جذورها لدى بعض القبائل، وقد ذكر الدكتور أحمد علم الدين الجندى أن "تجدًا" محط هذه اللهجة وقد استدل على ذلك ببعض الأمثال العامية النجدية(١)، ويعلل الجندى إمالة ما قبل هاء التأنيث التأنيث إلى تشابه الهاء بالألف، حيث يقول: "وأما السبب فى إمالة ما قبل هاء التأنيث... فيرجع إلى أن الألف يمال ما قبلها، والهاء شبيهة بالألف، فأميل ما قبل الهاء كذلك، ولا سيما أن الألف والهاء تحل إحداهما مكان الأخرى... فالألف قرينة الهاء –فإذا ما أميلت الألف– أميلت كذلك الهاء وهذا معنى قول سيبويه "شبه الهاء بالألف، فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف"(٢).

(١) اللهجات العربية فى التراث، ١/ ١٢٧

(٢) السابق ، ١/ ١٢٧

خامسًا: الإبـــــــدال

حظيت ظاهرة الإبدال باهتمام اللغويين والنحاة، فأخذت حيزًا كبيرًا من الدرس اللغوى؛ حيث إنها تتغيا التخفيف وتتجنب الثقل الموجود فى نطق الأصوات المتجاورة فى المخرج كأصوات الحلق؛ لصعوبة ذلك عليهم(١). وهو من الظواهر اللغوية المتصلة باللهجات العربية، حيث يقول ابن فارس إنها: "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض..."(٢)، وهو كثير ومشهور في لغة العرب، إذ يقع بين الأصوات المتقاربة في المخرج، والمتباعدة أحيانًا، والأول أكثر وقوعًا(٣).

ولقد ولدت هذه الظاهرة بميلاد العربية، فلم تكن دخيلة عليها، وإنما هى ظاهرة فطرية تتغيا الخفة والهروب من الثقل، والمحافظة على سمت اللغة من خلال المشاكلة والمشابهة والهروب من التكرار الممل، ولذا يقول أبو الطيب اللغوي: " ليس المراد بالإبدال أنَّ العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد"(٤)، وإنَّ " كثيرًا مما حمل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات"(٥) ولم يمنع المعاصرون(٦) من وقوعه في اللهجة الواحدة. وقد حاولوا تفسيره على مختلف أسبابه سواء كانت ناجمة عن تقارب صوتى أو أخطاء سمعية أو عيوب فى النطق، أو غيرها مما يتصل بجمع المادة.

ومهما يكن من أمر فإن اللغويين اشترطوا في الإبدال؛ المجاورة بين الحروف المبدلة، أو التناسب في بعض الأحوال(٧)، ويحدث الإبدال لدفع الثقل(٨)، وإرادة التخفيف. وقد قامت الدراسة برصد ما أتيح لها رصده من هذه الظاهرة فى لهجة البراهمة كالآتى:

---

(١) صناعة الإعراب، ١/ ٧٥

(٢) الصاحبي ، ٣٣٣ .

(٣) ينظر: الإبدال (أبو الطيب) ، المقدمة ، ١ / ٩ .

(٤) الإبدال (أبو الطيب) ، المقدمة

(٥) التطور اللغوي التاريخي ، ١١٥ .

(٦) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب ، ٤١٠

(٧) ينظر: الاقتضاب ، ٢ / ٢٥٣ ،والمنهج الصوتي للبنية العربية ،١٦٨ ، والفلسفة اللغوية ، ٦٥ .

(٨) ينظر: التعريفات ، ١٣ .

- الإبدال بين الهمزة والعين:

نلحظ فى لهجة البراهمة ورود التبادل بين العين والهمزة فى بعض الألفاظ، فقد تسمعهم يقولون: فقعت عينه، والسعال، وأسعلك، يريدون: فقئت عينه، والسؤال، وأسألك، وكذا يبدلون العين همزة فيقولون: أهد الله، يريدون: عهد الله.

ويعود الإبدال بين الصوتين للصلة الوثيقة بينهما، من حيث المخرج والصفة، فالهمزة عند سيبويه(١) صوت حلقى شديد مجهور، وهو أقصى أصوات الحلق، وعند المحدثين صوت حنجرى انفجارى شديد مجهور عند طائفة من الباحثين، مهموس عند غيرها(٢) أما العين فصوت حلقى، أيضًا، عند سيبويه ولكنه من أوسط الحلق، متوسط بين بين الشدة والرخاوة(٣) وعند المحدثين، صوت حلقى احتكاكى مجهور(٤).

ونظرًا لأن الهمزة من الأصوات الشديدة، إذ مخرجها المزمار نفسه، ولا عمل للوترين الصوتيين معها، ولمحاولة التخفيف والهروب من الثقل يستبدل بها أحد الأصوات القريبة منها مخرجًا وصفة، وأقرب أصوات الحلق إليها هو "العين" لأن العين صوت مجهور، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجًا(٥)، وعضد الدكتور إبراهيم أنيس رأيه رأيه فى هذه الظاهرة بما نقله عن جمهرة ابن دريد أن بنى تميم عندما يحققون الهمزة يجعلونها عينًا(٦).

وبالإضافة إلى وجود هذه الظاهرة عند بنى تميم فيما عرف بالعنعنة، وجدنا فصحاء ربيعة يفعلون العكس فيعدلون عن النطق بالعين إلى الهمزة، يقول الزجاجى: "وذكر محمد بن يحيى العنبرى أن رجلاً من فصحاء ربيعة أخبره أنه سمع كثيرًا من أهل مكة من فصحائهم يقولون: يا أبد الله، يريدون: يا عبد الله"(٧).

---

(١) الكتاب، ٤/ ٤٣٣

(٢) فى البحث الصوتى عند العرب، ص ٤٥

(٣) ينظر: الكتاب، ٤/ ٤٣٣- ٤٣٥

(٤) علم اللغة العام، "الأصوات"، ص ١٥٥

(٥) ينظر: فى اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ص ١١٠ - ١١١

(٦) جمهرة اللغة، لابن دريد، تح: رمزى منير بعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت، ط١/ ١٩٨٧م، ١/ ٢١٦، وفى اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ص ١١١

(٧) الإبدال والمعاقبة، ص ٣٥

وهكذا لم يخرج أهل البراهمة عن أصول اللهجات العربية القديمة، فى نطقهم بعض الألفاظ وتبديل بعض الأصوات بعضها من بعض.

- **إبدال هاء الغائب واوًا:**

يتفق اللغويون على أن الهاء من أثقل الأصوات، لأنها من مخرج الحنجرة فى أقصى الحلق عند القدماء[١]، تأتى بعد الحاء عند الخليل[٢] وبعد الهمزة عند سيبويه[٣] ومع الألف فى رتبة واحدة عند الأخفش[٤] وعلى الرغم من أن بعض اللهجات العربية الموغلة الموغلة فى القدم كانت تسكن هاء الغائب فى الوقف وعند الوصل، لكننا نجد لهجة البراهمة تنطقها "واوًا" فيقولون: رحت بيتو، وقابلت ابنو، وكلمتو، وقلتلو، وخبَّرتو بالموضوع، وأقنعتو وتركتو وهو فاهم الحكاية... حيث إنَّ هذه الأمثلة حُذفت فيها "الهاء" وأشبعت الضمة التى قبلها، فصارت ضمة طويلة.

أما الواو المعدول إليها من الهاء فهى حرف علة ومد تخرج من بين الشفتين مع الباء والميم ولكنها أوسع منهما[٥] يقول سيبويه: "وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجًا: الألف ثم الياء ثم الواو"[٦] وهى صوت مجهور رخو رخو منفتح، يقول ابن جنى: "والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهي الألف والياء والواو، اعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت "بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهن غير مدغمات" ففيها امتداد ولين؛ نحو: قام، وسير به، وحوتٍ، وكوز، وكتاب، وسعيد، وعجوز، إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة. وهي أن تقع بعدها –وهي سواكن توابع لما "هو منهن" وهو الحركات من جنسهن– الهمزة، أو الحرف المشدد، أو أن يوقف عليها عند التذكر"[٧]. ونظرًا لما تتسم

---

(١) ينظر: العين، ١/ ٥٧، والكتاب، ٤/ ٤٣٣، والمقتضب، ١/ ١٩٢، والأصول، ٣/ ٤٠٠، وصناعة الإعراب، ١/ ٥٢، وشرح المفصل، ١٠/ ١٢٦، وارتشاف الضرب، ١/ ٤

(٢) العين، ١/ ٥٧

(٣) الكتاب، ٤/ ٤٣٣

(٤) ارتشاف الضرب، ١/ ٥

(٥) اللهجات العربية فى التراث، ٢/ ٤٦١

(٦) الكتاب، ٤/ ٤٣٦

(٧) الخصائص، ٣/ ١٢٤

به حروف اللين من اعتبارها من الأصوات القصيرة أو الصامتة، وإذا كانت الهمزة تبدل من الهاء، فإننا نستطيع القول بجواز إبدال "هاء" الغائب واوًا، ويمكن تعليل إبدال هاء الغائب إلى الواو؛ وذلك لأن الواو إذا تحركت صارت صوتًا صامتًا مثل بقية الأصوات الصامتة، كما أن للواو والياء وظيفتين: وظيفة الأصوات الصامتة ووظيفة الأصوات المصوتة، وفى هذه الحال لا تكون إلا بعد حركة قصيرة، فتصير كمًّا حركيًّا، وتوضيح ذلك أن الواو والياء تعدان صوتين انتقاليين؛ حيث إنهما يتكونان من موضع صوت اللين، ثم بعد عملية التبدل الصوتى الإعلالى ينتقلان إلى آخر موضع من مواضع أصوات اللين(١).

- إبدال العين حاء:

يبدو عند بعض العامة من أهل البراهمة ظاهرة قلب العين إلى الحاء فى بعض الكلمات، نحو: بحتر، يتلفح، ملفحة، وكحك، وجحفر، ورحشة، أحشاب، يريدون: بعثر، يتلفع، ملفعة، وكعك، وجعفر، ورعشة، أعشاب، وقد يبدو واضحًا قلبهم العين حاء فى بعض الكلمات، ولا سيما حين الإضافة إلى ضمير الغائب "الهاء" وفروعها، المفرد أو الجمعى، نحو قولهم: يصفحه، ويصفحها، ويصفحهم، يصنحه أو يصنحها، يرفحه، يرفحها، يرفحهم، يقلحه، يقلحها، يقلحهم، يخلحه، يخلحها، يخلحهم، يشيحها، يشيحه، يشيحهم، يشبحها، يرقحه، يرقحها، يرقحهم، ينفحه، ينفحها، ينفحهم، يتبحه، يتبحها، بقلب العين حاء.

والجدير بالإشارة أن العين والحاء صوتان حلقيان، ولقرب مخرجهما قال الخليل: "ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين"(٢) وقال سيبويه: "ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء"(٣). والحاء صوت احتكاكى مهموس منفتح، يتم نطقه بتضييق المجرى الهوائى فى الفراغ الحلقى بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكًا، ولكن لا يتذبذب الوتران الصوتيان.

(١) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص ٤٣

(٢) العين، ١/ ٦٥

(٣) الكتاب، ٤/ ٤٣٣

وصوت العين هو النظير المجهور للحاء والفرق بينهما هو تذبذب الوترين الصوتيين مع العين، وعدم تذبذبهما مع الحاء[١]. ولولا الجهر وبعض الشدة لكانت العين حاءً، ولولا الهمس والرخاوة لكانت الحاء عينًا[٢] فالفرق إذًا بين الصوتين فى الجهر والهمس، ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: "ولعل السر فى هذا هو ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا قورنت بالغين، وضعف حفيفها يقربها من الميم والنون واللام، ويجعلها من هذه الأصوات التى هى أقرب إلى طبيعة أصوات اللين"[٣].

وقد أثبتت النصوص التراثية ورود ظاهرة إبدال العين من الحاء فى كلام بعض القبائل العربية، ومنه ضبحت الإبل وضبعت[٤] كما أبدلت الحاء من العين فى قراءة عبد الله بن مسعود[٥] فى قوله تعالى: چ ۆ ۆ چ العاديات: ٩ وبعثرت وبحثرت لغتان بمعنى واحد يقال بحثروا متاعهم وبعثروه[٦] وقد أيد سيبويه ذلك بقوله: "ومما قالت العرب تصديقًا لهذا في الإدغام قول بني تميم: محم، يريدون: معهم، ومحاولاء، يريدون: مع هؤلاء"[٧]. وقال ابن دريد: "والعين تتلو الحاء فى المدرج والارتفاع، فلذلك قال قوم من العرب: محهم وإذا أدغم قيل محم"[٨] وقد نسبت هذه الظاهرة إلى هذيل[٩].

ولعل عدولهم عن النطق بالعين إلى الحاء مطلب استعمالى تقتضيه حاجة الجهاز الصوتى إلى الخفة والهروب من الثقل الناجم عن الجهد العضلى المبذول مع النطق بالعين؛ لأن الحاء صوت مهموس، والمهموس أخف من المجهور، وقد أكد سيبويه ذلك

(١) ينظر/ علم اللغة العام، الأصوات، د. كمال بشر، ص ١٢١

(٢) ينظر: التمهيد، ص ١٣٥

(٣) الأصوات اللغوية، ص ٨٨، وعلم اللغة العام، الأصوات، كمال بشر، ص ١٢١

(٤) الإبدال، لابن السكيت، ص ٦٨، والمزهر، ١/ ٤٦٦

(٥) البحر المحيط، ٨/ ٥٠٥

(٦) الإبدال، لابن السكيت، ص ٨٦، ولسان العرب، "بعثر، بحثر"

(٧) الكتاب، ٤/ ٤٥٠

(٨) الجمهرة، ١/ ٦

(٩) البحر المحيط، ٥/ ٢٠٧، والمحتسب، ١/ ٣٤٢، واللسان، مادة "عنا"

بقوله: "فإن التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين، ألا ترى أن التقاءهما في باب رددت أكثر، والمهموس أخف من المجهور"(١).

وتلحظ الدراسة أن أهل البراهمة لا يعدلون عن النطق بالعين فى كل الحالات، ولكن حين يتضاعف الثقل، بإلحاق العين أى حرف من الحروف الثقيلة ولا سيما الهاء؛ لأن الهاء من الأصوات الثقيلة، يحتاج النطق بها إلى مجهود عضلي كبير، وقد فطن سيبويه لذلك فقال: "لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين"(٢).

- الكاف والقـــــاف :

صوتان شديدان(٣)، متقاربان في المخرج، فالكاف طبقي(٤)، والقاف لهوي(٥). والعرب تقول: "القافور والكافور، والقف والكف، إذا تقارب الحرفان في المخرج المخرج تعاقبا في اللغات .."(٦). ومن ذلك ما نلحظه فى لهجة أهل البراهمة نطقهم القاف كالجيم القاهرية قولهم فى بعض الألفاظ: القمح، القليل، القدر، القمر، القفة، القطة، القيراط، القرد، اقعد، قتل، قتيل، قاعد، قبر، قديم، قميص، قرن، قماش، وغيرها.

ولا شك أن هذه الظاهرة كغيرها من الظواهر اللهجية، لها أصول فى العربية، وقد أكد الزجاج ذلك، بقوله: "والقاف والكاف تبدل إحداهما من الأخرى كثيرًا، ومثل ذلك: لبكت الشيء ولبقته إذا خلطته ..."(٧).

ويحدث الإبدال أيضًا بين القاف والكاف في بعض اللهجات العربية، فيكون الصوت المبدل منه هو القاف بين الكاف والجيم، حيث تكون قريبة من نطق الـ "g" فى الإنجليزية، وهو أشبه بـــــ "الجيم القاهريَّة"(٨) وقد سرت هذه اللهجة في اليمن، فإذا

---

(١) الكتاب، ٤/ ٤٥٠

(٢) الكتاب، ٤/ ٤٥١

(٣) ينظر: الكتاب ، ٢ / ٤٠٦ .

(٤) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ، ٢٧١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٧٢ .

(٦) معاني القرآن للفراء ، ٣ / ٢٤١ ، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ، ٥ / ١٥٩ . .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ، ٥ / ٢٩١ .

(٨) تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ، ٢٥ .

نطقوا اللفظة مثل"جمل" قالوا: كمل، بين الجيم والكاف[١]، واستشهدوا له بقول أبي الأسود الدؤلي: [البسيط]

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفـــول[٢]

وقد فُسر إبدال "القاف" "كافًا" من الناحية الصوتية على أنه: "انتقال مخرج الصوت إلى آخر قريب منـــه، فالقاف صوت لهوي عند المحدثين انتقـــل إلى صوت طبقـــي إيثـــارًا لتخفيـف الجهـــد"[٣].

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "فما حدث في نطق اليمنيين للجيم هو انتقال المخرج إلى الوراء قليلاً، وانحباس النفس معها انحباسًا كاملاً... قد كملت شدتها، وذلك أقرب من صفات البيئة البدوية .."[٤]. ومما يؤيد وجود هذا الصوت في اللغة اليمنية القديمة استعمال لفظة (المكرب) أي المقرَّب في اللغة السبئية[٥]. وقد ذكر الدكتور رشيد العبيدي[٦] نسبة هذا الصوت إلى تميم واليمن وعرب جنوب الجزيرة .

– اللام والنـــون :

صوتان ذلقيان[٧]، لثويان[٨]، مجهوران[٩]، وقد سوغ وحدة مخرجيهما، واشتراكهما في كثير من الصفات إبدال أحدهما من الآخر في لغة العرب، ونلحظ فى لهجة قرية البراهمة أنهم يبدلون النون من اللام فى بعض الألفاظ، فينطقون اللام نونًا فيقولون: إسماعين، وجبرين، وإسرائين، ولا غرو أن تقارب الصوتين يسر تبادلهما، وكأنَّ اللغة العربية تحتكم فى النطق إلى النواحى الموسيقية، كما أن هذه اللهجة لم تنفصم عن اللغة الفصحى وما يندرج تحتها من لهجات قديمة جاءت عليها بعض القراءات، يقول الفراء: "... ثُمَّ قال: سَلامٌ عَلى إِلْ ياسِينَ فجعله بالنون. والعجميُّ من الأسماء قد يفعل بِهِ هَذَا

---

(١) ينظر: الجمهرة ، ١ / ٤ – ٥ ، و الصاحبي ، ٣٦ ، و اللهجات العربية الحديثة في اليمن ، ٨٦ ، ومشكلات في التأليف اللغوي ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) الصاحبي، ٣٧ ، وديوانه، ١١٩.

(٣) في اللهجة الصنعانية (بحث) ، ٦ .

(٤) في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ٩٣ .

(٥) ينظر: تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، ٥١ ، و كنوز مدينة بلقيس ، ١٢٤ .

(٦) مباحث في علم اللغة واللسانيات ، ١١٢ .

(٧) ينظر: العين ، ١ / ٥١ .

(٨) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ، ٢٧٠ .

(٩) ينظر: الكتاب ، ٢ / ٤٠٥ .

العرب. تَقُولُ: ميكالُ وميكائيل وميكائل وميكائين بالنون. وهي فِي بني أسد يقولون: هَذَا إسماعين قد جاء بالنون، وسائر العرب باللام. قَالَ: وأنشدني بعض بني نُمَير لضب صاده بعضهم: [الرجز]

يقول أهلُ السوق لَمَّا جينا هَذَا وَربِّ البيت إسرائينا[١]

ويبدو أن هذا الإبدال يحدث بفعل التقارب الشديد بين الصوتين فى المخرج والصفات، وقد يجد السامع فى نطق النون نغمة موسيقية تتناسب ونهاية اللفظة، وقد ذكر العلماء أنَّ "جبرئيل" لغة تميم وقيس وأهل الكوفة وكثير من أهل نجد و"جبرين" نسبوها لأسد[٢]. ومن ومن لغة تميم أيضًا قولهم إسرائين بالنون[٣].

والإبدال بين النون واللام واضح عند بعض القبائل العربية، فقد نُسب إلى بني أسد قولهم: "إسرائين" في "إسرائيل"[٤] ومن أمثلة الزجاج ما رواه في قول العرب: سجّيل وسجّين بمعنى واحد، وكذلك قولهم: يلفح وينفح في معنى واحد[٥] في الآية الرابعة بعد المائة من سورة (المؤمنون) .

- النون والميم:

تلحظ الدراسة فى لهجة قرية البراهمة أنهم يبدلون النون من الميم فى بعض الألفاظ، فينطقون النون ميمًا فيقولون: سِمْبلة، قُمْبلة، أبو سُمْبل، عَمْبَر، ابن حَمْبل، كُرُمْب، طُرُمْبة، سَمْبُوك، أَمْبُوبة، أَمْبُول، أَمْبَاء، جَمْب، وأصل هذه الكلمات بالنون، ولكن تقارب الصوتين يسر تبادلهما، حيث إن النون مؤاخية للميم فى الغنة[٦] كما نجدهم أيضًا فى حديثهم ينطقون "فاطمة" بالنون.

ويرجع هذا الإبدال بين الصوتين، النون والميم، لاتفاق مخرجيهما وتقاربهما، حيث إن الميم صوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو، إذ هى لقلة ما يسمع لها من حفيف اعتبرت فى درجة وسطى بين الشدة والرخاوة، والنون صوت مجهور متوسط بين الشدة

(١) معانى القرآن، للفراء، ٢/ ٣٩١

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ، ١ / ٢٥٠ ، و تفسير الطبري ، ١ / ١٣٧ .

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ، ١ / ٢١٧ .

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ، ١ / ٣٣١ ، و الكشف عن مساوئ المتنبي ، ٢٤١ .

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ، ٤ / ٢٣ .

(٦) نهاية القول المفيد، ص ٩١

والرخاوة كذلك، فبينهما علاقة تقارب، ثم إنَّ هناك علاقة أخرى بين هذين الصوتين وهى: أن مجرى الهواء مع كل من الميم والنون هو التجويف الأنفى[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التبادل بين الصوتين لم يكن مشاعًا فى لهجة هذه القرية، شأنها فى ذلك شأن اللغة الأم، حيث تلحظ الدراسة أن إبدال النون ميمًا لم يحدث إلا فى بنية الكلمات التى فيها النون ساكنة وقد ألحقتها الباء، ويؤكد ذلك سيبويه وغيره، حيث يقول: "والميم تكون بدلاً من النون في عنبرٍ وشنباء ونحوهما إذا سكنت وبعدها باءٌ"[٢]. كما يؤكد ذلك ابن عصفور حيث يقول: "وأُبدلت باطِّراد من النون الساكنة عند الباء في نحو: عَمْبَرٍ وشَمْباءَ. وذلك لأنَّ النون أُخت الميم وقد أُدغِمَت في الميم، فأرادوا إعلالها أيضًا مع الباء كما أعلُّوها مع الميم بالإدغام"[٣].

وقد علل الأشمونى هذا الإبدال بين الصوتين بقوله: "تُبدل النون الساكنة قبل الباء ميمًا، وذلك لما في النطق بالنون الساكنة قبل الباء من العسر؛ لاختلاف مخرجيهما مع تنافر لين النون وغنتها لشدة الباء، وإنَّما اختصت الميم بذلك لأنها من مخرج الباء ومثل النون في الغنة[٤].

وقد أثبتت المعاجم اللغوية والأمالى وغيرها من المصادر التراثية ظاهرة التبادل بين الصوتين، وقد وردت ألفاظ كثيرة دونت بالميم والنون، نذكر منها قول ابن فارس: "فَأَمَّا الْحَزْمُ مِنَ الْأَرْضِ فَقَدْ يَكُونُ مِنْ هَذَا، وَيَكُونُ مِنْ أَنْ يَقْلِبَ النُّونُ مِيمًا وَالْأَصْلُ حَزْنٌ، وَإِنَّمَا قَلَبُوهَا مِيمًا لِأَنَّ الْحَزْمَ، فِيمَا يَقُولُونَ، أَرْفَعُ مِنَ الْحُزْنِ"[٥]. وفى مادة "دخشن" من لسان العرب: "رجل دخشن عظيم ويقال: الدخشم"[٦] وغيرها الكثير من الألفاظ الدالة على التبادل التبادل بين الصوتين.

---

(١) نهاية القول المفيد، ص ٨٠

(٢) الكتاب، ٤/ ٢٤٠

(٣) الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص ٢٥٩

(٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ٤/ ١٢٠ ١٢٠

(٥) مقاييس اللغة، ٢/ ٥٤

(٦) لسان العرب، ١٣/ ١٥١

- إبدال الصاد سينًا:

ينطق أهل البراهمة بعض الألفاظ بالسين وأصلها بالصاد على غير قاعدة لغوية يمكن الاستناد إليها، وليس ثمة ما يقيم حجتهم فى هذه الظاهرة إلا السماع، ومن هذه الألفاظ التى وردت بالسين وأصلها بالصاد قولهم: سديق، سندوق، سقر، لسق، سديرى، وسهريج، وسفر، وغيرها، يريدون: صَدِّيق، صَنْدوق، صَقْر، لَصْق، صِدِيرى، وصَهْرِيج، وصِفْر.

ويرجع ذلك الإبدال إلى تقارب مخرجى الصوتين؛ حيث إن السين: صوت لثوى رخو "احتكاكى" مهموس منفتح، يتم نطقه بوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان، ومقدمة مقابل اللثة العليا مع رفع الطبق تجاه الحائط الخلفى للحلق، فيسد المجرى الأنفى مع عدم وجود ذبذبة فى الوترين الصوتيين(١).

أما الصاد، فهو صوت أسنانى لثوى رخو (احتكاكى) مهموس مطبق، فهو نظير السين المطبق، ينطق كما ينطق السين مع فارق واحد هو أن مؤخرة اللسان ترتفع معه من ناحية الطبق(٢)، فالسين والصاد متفقان فى المخرج والوصف، ولا يوجد أى فارق بينهما إلا فى الإطباق حيث يقول سيبويه: "والسين كالصاد في الهمس والصفير والرخاوة، فإنما يخرج الصوت إلى مثله في كل شيء إلا الإطباق"(٣). وقال أيضًا: "ولولا الإطباق لصارت ... ... الصاد سينًا"(٤).

ومما يجدر ذكره أن هذه الظاهرة لم تكن بدعًا من اللهجات العربية، وإنما لها أصولها فى لهجات بعض القبائل، فقد جاءت هذه اللهجة فى لسان العرب وقد علق ابن منظور على كلمة مثل "السخب" بالسين بالرداءة وعدم الاختيار؛ لعدم توافر الانسجام الصوتى بين السين والخاء؛ حيث تتسق الصاد مع الحرف المستعلى الخاء(٥).ومن

---

(١) المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص٤٧، أصوات اللغة،د.عبد الرحمن أيوب، ص ٢٠٤

(٢) المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٧

(٣) الكتاب، ٤/ ٤٨١

(٤) الكتاب، ٤/ ٤٣٦

(٥) اللسان، ٧/ ٢٩٤

المتأخرين[١] من ينسب (الصراط) بالصاد إلى قريش، و(السراط) بالسين إلى قيس، ومما يلفت النظر فى الدرس اللهجى فى العربية أنهم يقبلون التقارض بين الصوتين، وذكر ابن خالويه أربع لغات في الصراط، بالسين وبالصاد وبالزاي الخالصة، وبإشمام الصاد والزاي، وكل ذلك قرئ به، وقال: "... ومثله سندوق وصندوق وزندوق، أخبرني ابن دريد عن أبي حاتم، قال: اختلف اثنان في السقر والصقر، فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد، فسألت أعرابيًا: كيف تقول أبالصاد أم بالسين؟ فقال: أما أنا فأقول بالزاي.."[٢] وقد نسب سيبويه[٣]هذه الظاهرة إلى بني العنبر من تميم خاصَّة، ونسبها ابن سلام[٤] إلى تميم، كما وجد من القبائل من يفعل العكس، فيقلب السين صادًا، وهم بنو تميم يقلبون السين صادًا في طائفة من الألفاظ[٥].

وقد ذكر النحاس اللهجة التي جاءت في قراءة (الصراط)، فقال: " قرأ ابن عباس (السراط) بالسين، وبعض قيس يقولها بين الصاد والزاي، ولا يجوز أن يجعل زايًا لا تكون ساكنة، وذلك لأن تباعد مخارج الحروف وعدم اتساقها يؤدى إلى التنافر الصوتى، ولذا فإن اللغة تعدل عن السين إلى الصاد فى بعض الكلمات حين يأتى قفا هذا الصوت حرف من حروف الاستعلاء يقول قطرب: "إذا كان بعد السين في نفس الكلمة طاءٌ أو قافٌ أو خاءٌ أو غين فلك أن تقلبها صادًا .."[٦] ، والصاد لا تدغم إلا في أختيها الزاي والسين لما فيهنَّ من الصفير[٧].

ولذا اختار الأخفش[٨] لغة الصاد على السين؛ لأنها وافقت الخط القرآني، وأثر صوت الصاد في السين في الكلمات التي جاءت فيها الأصوات المستعلية[٩]، وعلى مذهب سيبويه؛ السين هي الأصل ثمَّ أبدلت صادًا لتوافق حروف الإطباق[١٠].

---

(١) ينظر: النشر،١/ ٣٧٠، وحاشية الشهاب، ١/ ٩٥ ، والمجيد في إعراب القرآن المجيد (بحث)، ١٥١ .

(٢) إعراب ثلاثين سورة، ص ٤٠

(٣) الكتـــــاب ، ٤ / ٤٨٠ ، و ينظر: ارتشاف الضرب ، ١ / ٣٢٤ .

(٤) ينظر: طبقات الشعراء ، ١١ .

(٥) ينظر: لهجة تميم ، ٩٢ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ، ١ / ١٧٤ ، وينظر: سر الصناعة ، ١ / ٢٢٣ .

(٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ، ١ / ٢٦٤

(٨) ينظر: معاني القرآن للأخفش ، ١ / ١٦ ، وروح المعاني ، ١ / ٩٢ .

(٩) ينظر: الصحاح ، (صدغ) ٤/ ١٣٢٣ ، و بقايا اللهجات العربية (بحث) ، ١٧ .

(١٠) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ، ١ / ٣٨ .

- إبدال السين زايًا:

ينطق أهل البراهمة بعض الألفاظ بالزاى وأصلها بالسين على غير هدى من قاعدة لغوية يمكن الاستناد إليها فى التقعيد، ولم يكن ثمة أصل يُعَوَّلُ عليه فى هذه الظاهرة إلا السماع، باعتباره واحدًا من أهم الأصول فى الدرس اللغوى، ومن هذه الألفاظ المتواترة فى لهجة البراهمة قولهم: كزبرة، زعتر، يغرز، غموز، مهندز، يزقى، من السقاية سواء للزرع أو لغيره، يريدون: كسبرة، سعتر، يغرس، غموس، مهندس، يسقى.

اشتهر الإبدال في هذه الحروف بين العرب لاتفاقها في المخرج؛ لأنَّ مخرج السين والصاد من مخرج الزاي[١]، إذ لا فرق بين الزاى والسين فى كيفية الخروج، إلا أن الهواء المندفع من الرئتين حين وصوله إلى الوترين الصوتيين يحرك هذين الوترين حركة منتظمة، ثم يتخذ الهواء مجراه فى الحلق والفم على النحو الذى خرج به السين[٢] وقد وضع سيبويه الشروط الموجبة لإبدال السين والصاد زايًا حيث يقول: "فإن كانت سينٌ في موضع الصاد وكانت ساكنةً لم يجز إلا الإبدال إذا أردت التقريب، وذلك قولك في التسدير: التزدير، وفي يسدل ثوبه: يزدل ثوبه؛ لأنها من موضع الزاي وليست بمطبقة، فيبقى لها الإطباق والبيان فيها أحسن؛ لأن المضارعة في الصاد أكثر وأعرف منها في السين، والبيان فيهما أكثر أيضًا"[٣].

ولم تكن هذه الظاهرة عامة فى نطق السين زايًا، لكنها فى كلمات معدودة قد لا تتعدى الاستماع ولا يقاس عليها، ولها أصولها فى التراث، فقد ثبت أن العرب نطقت السين زايًا فى بعض الكلمات، وقد اختصت بها بعض القبائل، كقبيلة كلب، حيث يقول ابن جنى: "وكلب تقلب السين مع القاف خاصة زايًا، فيقولون فى سقر: زقر، وفى مس سقر: مس زقر"[٤] وأثر عنهم قلب السين الواقعة قبل القاف زايًا[٥]، كما نسبت هذه الظاهرة

---

(١) ينظر فى وصف هذين الصوتين فى: المدخل إلى علم اللغة، د. عبد التواب، ص ٤٧، ومناهج البحث فى اللغة، د. تمام، ص ١٢٨

(٢) الأصوات اللغوية، ص ٧٦، والمدخل إلى علوم اللغة، ص ٤٧

(٣) الكتاب، ٤/ ٤٧٨- ٤٧٩

(٤) سر صناعة الإعراب، ١/ ٢٠٨

(٥) ينظر: شرح الشافية ، ٣ / ٢٣٣ .

أيضًا إلى الأزد، فقد جاء فى مادة "سقف" من العين "السقف عماد البيت والسماء فوق الأرض والزقف لغة الأزد فى السقف يقولون: ازدقف، أى: استقف"(١). كما نسب إشمام السين زايًا إلى قيس، وهي لغة فصيحة عند سيبويه(٢)، وكذلك كعب وعذرة وبني قيس(٣).

وهكذا لا يتعدى إبدال السين زايًا فى لهجة البراهمة الكلمات التى ذكرت آنفًا.

– التاء والألف:

لا شك أن التاء المربوطة لا المبسوطة حين يوقف عليها تنطق هاء، وفى لهجة البراهمة ينطقون الكلمة المنتهية بتاء ما قبلها مفتوحًا بالإطلاق، مما يزيد الفتحة لتصير مقطعًا طويلاً، أشبه بألف غير مشبعة(٤)، ومن أمثلة ذلك، نطقهم الأسماء التالية: بَقَرَا، شَجَرَا، ثَمَرَا، حَشَرَا، جَمْرَا، تَمْرَا، بَطَّا، زَهْرَا، وَرَقَا، قِطَّا، قِطْعَا، مَحَطَّا، خطَّا، البراهما.

وإذا كنا نعلم أنه ليس ثمة علاقة قرب بين مخرجى الألف والتاء المربوطة فى الجهاز الصوتى، حتى نقول إنه ناتج عن تقارب مخرجيهما، ولكن هذا غير وارد بالمرة فى هذه الحالة، وقد نجد لذلك تفسيرًا عند الدكتور رمضان عبد التواب حيث يعلل مثل ذلك بقوله: "ونحن عندما نقول إن التاء تقلب هاء إنما ننظر إلي النتيجة النهائية لا إلي التطور الصوتي؛ فإنه ليس ثمة علاقة صوتية بين التاء والهاء، وإنما تطور المسألة أن التاء سقطت حين الوقوف علي المؤنث فبقي المقطع السابق عليها مفتوحًا ذا حركة قصيرة، وهذا النوع من المقاطع تكرهه العربية في أواخر الكلمات فتجتنبه بإغلاق المقطع عن طريق امتداد النفس بهاء السكت"(٥).

وهناك تفسير آخر قد يكون الأقرب لهذه الظاهرة اللهجية، مرجعه هو أن كراهة الوقوف علي هذه الفتحة القصيرة جعلتهم يمطلونها فنشأت فتحة طويلة، وصار الوقف علي الاسم المنتهي بتاء التأنيث بهذه الفتحة الطويلة، وكانت هذه مرحلة سابقة للهاء، ويدل علي هذه المرحلة ما بقي منها في بعض اللهجات العربية الحديثة، مثل لهجة

(١) العين، للخليل، ٤/ ٣٨١

(٢) الكتاب ، ٤ / ٤٧٨

(٣) ينظر: ارتشاف الضرب ، ١ / ٣٢٥

(٤) بين الفتحة والألف، ليست طويلة كألف المد، ولا قصيرة كالفتحة العادية.

(٥) المدخل إلي علم اللغة د/ رمضان عبد التواب ص ٢٥٧ .

تطوان؛ حيث "تحذف منها هذه التاء، ويمتد النفس بما قبلها من صوت لين قصير "الفتحة" بإشباع لا يصل إلي درجة المد الطويل"[١] "وكذلك تمامًا لهجة القاهريين، فهم يقولون في الوقف: (شجرا، ثمرا...) بدلاً من شجرهْ وثمرهْ؛ حيث تحذف التاء ثم يتم إشباع الفتحة قبلها قليلاً تجنبًا للوقوف علي حركة قصيرة.

- الدال والتـــــاء :

مخرج التاء والدال بين طرف اللسان وأصول الثنايا، أي من نطع الغار الأعلى من الحنك[٢]، وكلاهما شديد، إلا أنَّ الدال مجهور، والتاء مهموس[٣].

ومما ورد فى لهجة البراهمة إبدالهم التاء من الدال فى نطقهم اللفظة "هدهد" حيث يُلحظ أنها بالتاء: "هتهت" وقولهم: يتهيك، وتدهيك، يريدون: يُدْهِيكِ، وتُدْهيك، وقولهم: يتفع، ويتفق، ويتفن، يريدون: يدفع، ويدفق، ويدفن، ولم يكن ذلك بدعًا منهم ولكنه يعود إلى قرب مخرجى الصوتين، ونلحظ ذلك بكثرة فى إدغام الدال فى التاء حين مجىء كلمة منتهية بالدال وقد ألحقتها تاء الفاعل، كوجدتُ، وحصدتُ، وطدت، حمدت، وغيرها، حيث تنطق: وجتّ، وحصتّ، ووطتّ، وحمتّ، كما أن التبادل بين الصوتين له أصول لدى بعض القبائل العربية الموغلة فى الفصاحة، حيث ثبت أن بعض العرب يبدلون "التاء" من "الدال"، قال الفراء: "الفندق" مثل الخان، قال: سمعت أعرابيًا من قضاعة يقول" فنتق"[٤]. واشترك بنو أسد مع قضاعة في هذا النوع من الإبدال، فهم يقولون: "التفتر" في "الدفتر"[٥].

وأكد النحاس ظاهرة التبادل بين الصوتين فى اللهجات العربية، فعلى حين بعضهم يبدل التاء من الدال، نرى بعضهم يفعل العكس، حيث يقول: "وبعض بني عامر يقولون يجدبي، أي يجتبي، فيبدلون من التاء دالاً إذا كان قبلها جيم، ويقولون يجدلدون ، أي يجتلدون.."[٦].

---

(١) لهجة شمال المغرب " تطوان وما حولها " د/ عبد المنعم سيد عبد العال ص ١٥٥ .

(٢) ينظر: سر الصناعة، ١ / ٤٧ ، وكشف المشكل، مج ٢ / ٢٧٩ .

(٣) ينظر: الجمهرة ، ١ / ٤٦ ، والمقرَّب ، ٣٥٦ .

(٤) معاني القرآن ، ٢ / ٢٤٩ .

(٥) ينظر: القلب والإبدال، ٥٤ ، والإبدال، أبو الطيب، ١ / ١٠٩ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس، ١ / ٤٢٢ .

– إبدال الظاء ضادًا:

من الملاحظ فى الدراسات الصوتية تقارب مخرجى الظاء والضاد، ففى لهجة البراهمة يعدلون عن النطق بالظاء إلى الضاد فى بعض الكلمات، فيقولون: الضهر، يقصدون الظُهر، أى منتصف النهار، والضهر، أى الظَهر، ويقولون: لحضة، غليض، وقيض، وقيضى، وعضم، يريدون: غليظ، ولحظة، وقيظ، وقيظى، وعظم، ويرجع العلماء إبدال الظاء ضادًا إلى قربهما فى المخرج، واتفاقهما فى الجهر والإطباق والاستعلاء والإصمات والرخاوة"(١).

ولا غرو أن هذه اللهجة لها أصولها فى التراث اللغوى للعربية، وقد ساق الدكتور أحمد علم الدين الجندى عدة أدلة تثبت أن قلب الظاء ضادًا لهجة تميمية منها نطقهم كلمة "فاض" بالضاد بينما غيرها من القبائل ينطقها بالظاء، ومنها الحجاز فتقول: "فاظ"، فقد نقل صاحب المزهر ما جاء فى الغريب المصنف: فاظت نفسه تفيظ، مات، وناس من تميم يقولون: فاضت نفسه تفيض"(٢) وقد نقل السيوطى عمَّا ذكره اللغويون عن علاقة التقارب بين الصوتين، الظاء والضاد، فقال: "وقال المبرد: أخبرني التوزي عن أبي عبيدة قال: كلُّ العرب تقول: فاضت نفسه بالضاد إلا بني ضبة فإنهم يقولون: فاظت نفسه بالظاء حكاه أبو محمد البطليوسي في كتاب الفرق(٣).

وفي الجمهرة: الحُضُض ويقال الحُضَض ويقال الحُظُظ والحُظَظ: صَمْغ نحو الصَّبر والمرِّ وما أشبههما(٤). وفي كتاب الفرق للبطليوسي: حَظِلت النَّخْلة وحضِلَت: إذا فَسدت أصول سَعَفها وسمعت ظَباظِب الخيل وضَباضِبَها: أصواتها وجَلَبتها، والعظ والعض: شدة الحرب وشدة الزمان، ولا تستعمل الظاء في غيرها. والأرْظُ والأَرْض: قوائم الدابة والأشهر فيه الضاد. والحُظُظ والحُضُض بضم الظاء والضاد وفتحهما: الكُحْل الذي يقال له: "الخَوْلان" قال الراجز:

---

(١) نهاية القول المفيد، ص ٦٠، واللهجات العربية فى التراث، للجندى، ٤٢٥

(٢) المزهر، للسيوطى، ١/ ٤٣٨ ، واللهجات فى التراث، ٤٢٥

(٣) المزهر، ١/ ٤٣٨

(٤) ا المزهر، ١/ ٤٣٨

أَرْقَش ظمآن إذا عُصْرَ لَفَظْ أَمَرَّ من مر ومَقْرٍ وحُظَظْ

قال الخليل: يُنْشد هذا البيت بظاءين من كانت لغته فيه بالظاء، والذي لغته بالضاد يجعله على لغته ضادًا، ويجعل الآخر ظاء لإقامة الروي(١).

وهكذا جعل الخليل النطق بالظاء أو بالضاد مسألة متعلقة باللهجات، واللهجات عمومًا تتجه نحو التخفيف والهروب من الثقل بما يتناسب مع خصائص القبائل، سواء أكانت بدوية أم حضرية.

وقد أصَّل الدكتور أحمد علم الدين الجندى للعلاقة الوطيدة بين الصوتين حين ألمح إلى التبادل والتطابق بينهما فى المصاحف القديمة المندثرة كمصحف: ابن مسعود، وأُبى بن كعب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة، ومجاهد(٢) وساق الجندى دليلاً من كتاب الله ﷻ على التشابه الصوتى بين الضاد والظاء حين ذكر ورود الصوتين متتاليين فى الفواصل القرآنية، بين "غليظ" و"عريض" فى قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [فصلت: ٥٠ - ٥١]

وقد اُعتبر قلب الظاء ضادًا أمرًا مقبولاً لدى اللغويين العرب، وقد فسر الدكتور الجندى هذا العدول أو الانتقال من الظاء إلى الضاد على أنه رغبة فى التخفيف والهروب من الثقل، يقول: "ولما كانت القوانين الصوتية تشير إلى أن الإنسان فى نطقه يسلك أيسر السبل لذلك يمكن أن تكون صيغة الظاء هى الأصل، وقد تطورت عنها الضاد؛ لأن الصوت الرخو يتطور إلى نظيره الشديد... فالنطق بالضاد ينتمى إلى تميم البدوية؛ لأنها تؤثر الأصوات الشديدة بعكس الحجازية التى تميل إلى الأصوات الرخوة، ولذلك نطقتها بالظاء.

(١) المزهر، ١/ ٤٣٨

(٢) ينظر: اللهجات العربية فى التراث، ٢/ ٤٢٨

– إبدال الثاء تاء:

من الظواهر اللهجية البارزة لدى أهل البراهمة إبدالهم الثاء تاءً، فيقولون: اتنين، تلاتة، عِتر، عترة، تقيل، أتر، تار، تور، توم، تلاجة، تعلب، تِعبان، بَعَتَ، يتلتم، حرت، منها قولهم: فلان حرت الأرض.

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على البراهمة، بل إنها تكاد تكون عامة فى بعض العاميات، فقد اعتبر الدكتور رمضان عبد التواب أن الثاء من الأصوات التى كادت تندثر فى العامية حيث يقول: "وصوت الثاء من الأصوات التي فقدت في اللهجة العامية، واستعيض عنه فيها بالتاء، نحو: ثقيل تقيل، أو السين في الكلمات الثقافية، نحو: ثابت سابت"(١).

ويرجع إبدالهم الثاء تاءً إلى وجود الشبه الاعتباري فى تقارب مخرجي الصوتين، فصوت الثاء: من الأصوات اللثوية، على ما يرى الخليل بن أحمد بقوله: "لأن مبدأها من اللثة"(٢). وتابعه على ذلك بعض النحاة، كابن يعيش الذي يقول: "والظاء والذال والثاء من حيز واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وبعضها أرفع من بعض، وهي لثوية،؛ لأن مبدأها من اللثة"(٣)، مع أن النطق المتواتر لها في العربية الفصحى، هو النطق الأسناني، وقد روى ذلك سيبويه فقال: "وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء"(٤).

فالثاء: صوت رخو مهموس مرقق، ينطق بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء، ويكون معظم جسم اللسان مستويًا، ويرفع الطبق ليسد المجرى الأنفي، بأن يلتصق بالحائط الخلفي للحلق، ويتم ذلك كله، مع عدم وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية(٥).

---

(١) المدخل إلى علم اللغة، ص ٤٥

(٢) العين، ١/ ٥٨

(٣) شرح المفصل، ١٠/ ١٢٥

(٤) الكتاب، ٢/ ٤٠٥

(٥) المدخل إلى علم اللغة، ص ٤٥

ويمكن أن يرد البحث عدول أهل البراهمة عن النطق بالثاء وإبدالها تاءً إلى الجهد العضلى المبذول نتيجة التعقيد النطقى لهذا الصوت، ولذا لا يجدون متنفسًا عن إبدالهم الثاء تاء كما يفعلون فى الذال والدال لتشابههما فى المخرج والصفة.

ولذا يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "وأما التاء فهي نظير الدال المهموس، أي أنها صوت شديد مهموس مرقق، ينطق بنفس الطريقة، التي يتم بها نطق صوت الدال، مع فارق واحد، هو عدم إعمال الأوتار الصوتية في التاء، وتركها تهتز وتتذبذب مع صوت الدال"(١).

- إبدال الذال دالاً:

الإبدال بين الدال والذال من الظواهر الصوتية البارزة فى بعض اللهجات، ومرجع ذلك لتقاربهما فى المخرج، فالدال: صوت مجهور شديد منفتح مقلقل(٢) ويقول الدكتور رمضان عبد التواب: فالدال أسنانى لثوى، والذال لثوى(٣) ثم يقول: "وأما الذال: فهو نظير الثاء المجهور، أي أنه صوت رخو مجهور مرقق، يتم نطقه بنفس الطريقة، التي ينطق بها صوت الثاء، مع فارق واحد، هو أن الأوتار الصوتية تهتز عند نطق الذال، ولا تهتز عند نطق الثاء. وقد ضاع صوت الذال كذلك، في اللهجة العامية المصرية، وحل محله الدال، نحو: ذهب دهب، ذيل ديل، أو الزاي، نحو: ذكر زكر، ذل زل"(٤).

ومهما يكن من أمر فإن الإبدال بين الدال والذال مما تجوزه القوانين الصوتية؛ حيث إن مخرج الذال لو انتقل إلى الوراء قليلاً لصادف الدال، وقد لوحظ أن أهل البراهمة يبدلون الذال دالاً، كغيرهم من المصريين كما لاحظ ذلك الدكتور عبد التواب، فيقولون: دِهْ، ودِى، يريدون: ذه، وذى، للإشارة، ودهب، ودِيل، ودِيْب، وكَدَّاب، ودَكَر، ودَلِيل، يقصدون بها ذليل، وغيرها كثير وملحوظ على مستوى العامية المصرية، إلا بعض الكلمات فإنهم لا يبدلونها نحو كلمة: ذنب، وذِكْر، واللفظة ذوق للإشارة للسلوك.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة، ص ٤٦

(٣) التمهيد، ص ٢١٢١

(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، مكتبة الخانجى، ط٣/ ١٤١٧ ه، ١٩٩٧م، ص ٤٦- ٤٧

(٤) المدخل إلى علم اللغة، ص ٤٥

والجدير بالإشارة أن هذه اللهجة لم تكن بدعًا من اللهجات، بل إنها ظاهرة على مستوى العامية المصرية، وقد انخرطت عن أصول عريقة للعربية، حيث يؤكد التراث العربى وجود هذه الظاهرة، وقد كان لها نصيب فى المعجم والقراءات القرآنية، فقد روى ابن السكيت عن أبى عمرو الشيبانى أنه يقال: ما ذُقْت عَدُوفًا ولا عَدُوفة[١].أى: ما ذاق شيئًا. قال وكنت عند يزيدَ بن مزْيد الشيْباني فأنشدته بيت قَيْس بن زهير: [الكامل]

ومُجَنَّباتٍ ما يَذُقْن عَدُوفةً يَقْذِفْن بالمُهَراتِ والأَمْهارِ

وقد حدد ابن منظور أن "العدوفة" لغة سائر العرب، وبالذال لغة ربيعة[٢].

ويرجع إبراهيم أنيس ذلك الخلاف؛ لتأثرها بحضر الحيرة كإياد والنمر[٣].

وتلحظ الدراسة أن لهذه اللهجة دليلاً فى القراءات، فقد قرأ أبو جعفر "مدبدبين" بالدال فى قوله تعالى: چ ڑ ڑ ک النساء: ١٤٣ وهى بالذال قراءة الجمهور[٤].

وهكذا تخرج اللهجات من رحم اللغة الفصحى ولا تنفصم عن اللغة الأم، لأنه لا وجود لشىء من عدم له علاقة بالإبداع البشرى.

– إبدال الثاء سينًا:

من المظاهر اللهجية لدى أهل البراهمة عدم التفرقة فى النطق بين الثاء والسين، وإن كانت هذه الظاهرة لدى المصريين عامة وبعض البلاد العربية، حيث تلحظ الدراسة أن أبناء البراهمة ينطقون الألفاظ الواردة بالثاء وكأنها بالسين، فيقولون: سورة، سقة، ورس، ميراس، جسمان، جسة، وسن، وسنية، وسيقة، يريدون: ثورة، ثقة، ورث، ميراث، جثمان، جثة، وثن، وثنية، وثيقة.

ويرجع ذلك إلى تقارب مخرجى الصوتين، فالثاء: صوت أسنانى رخو (احتكاكى) مهموس، يتم نطقه بوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، وينطلق الهواء من الرئة إلى ممره فى الفم دون أن يسبب ذبذبة الأوتار الصوتية، ولكنه عند مروره بين

(١) ابدال ابن السكيت، ص ١٤٠، وينظر: المزهر فى علوم اللغة، ١/ ٥٤٥، ولسان العرب، ٩/ ٢٣٥

(٢) لسان العرب، ٩/ ٢٣٥ "عدف"

(٣) فى اللهجات العربية، ص ١٠١

(٤) البحر المحيط، ٣/ ٣٧٩

الأسنان وطرف اللسان يحدث احتكاكًا مسموعًا"[١]. أما "السين" فهى: صوت أسنانى لثوى رخو (احتكاكى) مهموس منفتح، يتم نطقه بوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان ومقدمة مقابل اللثة العليا مع رفع الطبق تجاه الحائط الخلفى للحلق، فيسد المجرى الأنفى مع عدم وجود ذبذبة فى الوترين الصوتيين"[٢].

فمن خلال المقارنة بين مخرجى الصوتين وصفاتهما يتضح الاتفاق بينهما، من حيث الرخاوة والانفتاح والأسنان إلا أنَّ مخرج الثاء من بين الأسنان، وتشترك الأسنان واللثة فى مخرج السين، وقد وردت ألفاظ فى اللغة بالثاء وبالسين، وقد يرجع ذلك إلى الاختلاف اللهجى بين القبائل وعدم الالتزام بمخارج الأصوات ودقة النطق، مما أدى إلى الخلط بين الأصوات المتقاربة، ومن أمثلة الإبدال بينهما ما أورده ابن السكيت: "يقال أتيته ملس الظلام وملث الظلام، أي: حين اختلط الظلام، والوطس والوطث الضرب الشديد بالخف، ويقال: قد وطس الأرض بخفه وقد وطث، ويقال ناقة فاسج وفاثج وهي الفتية الحامل[٣]. ومما ذكره أبو الطيب فى التبادل بين الثاء والسين فى بنية بعض الألفاظ: "يقال للبقية فى أسفل الإناء من الماء وغيره السُّملة، والثُّملة، والسَّملة، والثَّملة"[٤] ويُقال: إنه لمن إرث صدق وإرس صدق، أى: من أصل صدق"[٥].

ولا شك أنَّ هذه الأمثلة التى ذكرها مصنفو كتب الإبدال يؤكد أصالة اللهجات وعدولها عن النطق الصحيح لبعض الأصوات، حيث إن تحول الثاء إلى سين يعنى أن الثاء صارت صوتًا رخوًا، يشابهها فى الرخاوة والانفتاح، غير أن مخرجها قد تأخر إلى مخرج السين، وقد تكون هذه القاعدة عامة فى أصوات الأسنان؛ حيث تتحول من أصوات أسنانية إلى أسنانية لثوية فى بعض تغيراتها، فتتأخر الثاء إلى الوراء قليلاً مع محافظتها على صفة الرخاوة.

---

(١) أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، مكتبة الشباب، القاهرة، د. ت، ص ٢٠١

(٢) المدخل إلى علم اللغة، ص ٤٧

(٣) الإبدال، لابن السكيت، ص ١٠٦

(٤) الإبدال، ١/ ١٧٢

(٥) الإبدال، ١/ ١٧٣

وهكذا نجد أن صوت الثاء فى لهجة أهل البراهمة يصير تاء أو سينًا، ويكاد ينعدم النطق به إلا فى قراءة القرآن، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الصوت يكاد يندثر فى اللغة الدارجة فى كثير من الأقطار العربية، اللهم إلا دول الخليج.

– إبدال الميم باءً:

تلحظ الدراسة فى لهجة البراهمة ورود التبادل بين الميم والباء فى بعض الألفاظ، فقد تسمع بعضهم يقولون: بكان، ينتقب، جهنب، برهم، يبكن، يريدون: مكان، ينتقم، جهنم، مرهم، يمكن، وكذا يبدلون النون ميمًا فيقولون: يتمخطر، أى: يتبختر.

ويعود الإبدال بين الصوتين للصلة الوثيقة بينهما، من حيث المخرج والصفة، حيث إنهما من الأصوات الشفوية الثنائية، فصوت الباء انفجارى مجهور، وللنطق به تلتقى الشفتان؛ بحيث تحبسان الهواء داخل الفم، ثم تنفرجان فيحدث انفجار مسموع، ولكن الأوتار الصوتية تتذبذب خلال القيام بهذا"[(١)]. أما صوت الميم فهو صوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو، "وللنطق به تلتقى الشفتان التقاءً محكمًا؛ بحيث تمنع خروج الهواء من الفم، وتتدلى اللهاة فى نفس الوقت فتفتح الممر الأنفى للهواء فيخرج منه، وتكون الأوتار الصوتية فى حالة تذبذب"[(٢)]. وهكذا فإن بينهما علاقة تقارب، حيث يتفقان فى المخرج والجهر، ويختلفان فى أن الباء شديدة، والميم متوسطة لخروج الهواء مع الأنف، والباء صوت فموى.

ولهذه الظاهرة أصول فى العربية أكدتها المصادر التراثية، وقد جاءت النصوص بشىء من هذا الإبدال، فقال ابن عصفور: "وأُبدلت أيضًا –أى الميم– من الباء في قولهم: بَناتُ بَخْرٍ وبَناتُ مَخْرٍ. وهنَّ سحائب يأتين قُبُلَ الصَّيفِ، بيضٌ مُنتصباتٌ في السَّماء. قال طرفة:

كَبَناتِ المَخْرِ، يَمأَدْنَ كَما أَنبَتَ الصَّيفُ عَساليجَ الخَضِرْ[(٣)]

(١) أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، ص ١٩٩

(٢) أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، ص ١٩٩

(٣) ديوانه ص٧٤. ويمأدن: يتحركن ويتثنين. والعساليج: تخرج في الصيف تنقاد كما ينقاد الخيزران. والخضر: نبات أخضر.

وإنَّما جُعلت الباء الأصل؛ لأنَّ البَخْر مشتقٌّ من البُخار؛ لأنَّ السحاب إنَّما ينشأ عن بُخار البحر. وأُبدلت أيضًا من الباء ... من قولهم: ما زالَ راتِمًا على كذا، وراتِبًا أي: مُقيمًا، من الرُّتبة.

وأُبدلت أيضًا من الباء، في قولهم: رأيتُه مِن كَثَب، ومن كَثَم أي: من قُرب. ثمَّ قالوا: قد أَكثَبَ هذا الأمرُ أي قَرُبَ، ولم يقولوا: "أَكثَمَ". فدلَّ ذلك على أنَّ الباء هي الأصل. وأُبدلت أيضًا من الباء، في نُغَب جمع نُغْبة، فقالوا: نُغَمٌ(١).

وقد أورد اللغويون أمثلة على الإبدال بين الميم والباء، فى كثير من المصادر اللغوية والمعجمية، فقد وردت مفردات بالباء والميم، فمن ذلك ما ذكره ابن السكيت بقوله: "ويقال أسود غيهب وغيهم"(٢).

- المخالفة الصوتية:

يظهر التضعيف فى الكلمة حين يضاف إليها تاء الفاعل، ولكنهم يبدلون الياء من لام المضاعف؛ لأن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن تكون من موضع واحد(٣) وتلحظ الدراسة أن أهل البراهمة يقلبون الحرف المضاعف إلى الياء، وقد وردت هذه الظاهرة عندهم بكثرة، فمنها قولهم: مديت، حليت، وديت، مديت، حصيت، فكيت، هزيت، رديت، بديت، بريت، شكيت، سليت، شديت، هليت، مليت، أمليت، حميت، زجيت، رجيت، فضيت، قضيت، حسيت، لميت، حيث نحوا نحو التخفيف بالنطق بإبدال الحرف المضعف ياءً؛ لأن الياء أخف عليهم من النطق بالحرف مكررًا.

ومما يجدر ذكره أن هذه الظاهرة لها أصول فى الدرس اللهجى عند العرب، وقد أسهب اللغويون فى الحديث عنها، قال أبو عبيدة: "العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء، فيقولون: تظنيت، وإنما هو تظننت"(٤) ويقلب الحرف المضعف إلى الياء كراهة اجتماع الأمثال كما قالوا: تظنى، من الظن وأصله تظنن(٥) وقال الفراء: "دساها من:

(١) الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٦٠
(٢) الإبدال، ص ٧٦
(٣) الكتاب، ٤/ ٤١٧
(٤) مجاز القرآن، ٢/ ٧٠
(٥) ينظر: البحر المحيط، ٢/ ٤٩٨

دسّسْت، بُدّلَت بعض سيناتها ياء، كما قالوا: تظنيت من: الظن، وتقضيت يريدون: تقضضتُ من: تقضّض البازي"[١]

– القلب المكانيّ:

القلب في اللّغة: تحويل الشّيء عن وجهه، ومنه: قلب الشّيء، وقَلَّبه: حَوَّله ظهرًا لبطنٍ، وَقَلَبَ رَدَاءَه: حَوَّله[٢]. والقلب المكانيّ في اصطلاح اللّغويّين: هو حلول حرفٍ مكان حرفٍ في الكلمة المفردة بالتّقديم والتّأخير: مع حفظ معناها[٣].نحو: اضْمَحَلَّ وامْضَحَلَّ، وعميق ومَعِيق؛ وسحابٍ مُكْفَهِرٍّ ومُكْرَهِفٍّ، وقَافَ الأثرَ وقَفَاه [٤]. وهو سماعيٌّ؛ يحفظ ولا يقاس عليه؛ كما قال ابن عصفورٍ[٥]وهو رأي الجمهور.

وقد أرجع بعض المستشرقين[٦] بعض الكلمات المقلوبة إلى الأصل الجذري وأخضعها بعضهم الآخر إلى المنهج الصوتي. ولعل عاطف مدكور قد تأثر بذلك فذهب إلى أن ظاهرة القلب تعكس في معظم الأحوال مراحل التكوين الأولى الموغلة في القدم للغة الحديثة[٧]. وذهب العلايلي مذهبا مشابهًا، فهو يرى أن وجود الألفاظ الكثيرة المقلوبة ترجع في رأيه " إلى ما قبل عهد الاستقرار، وتنظر إلى عهود كانت فيها كاملة الحياة ثم تناقصها المد الزمني حتى لم تبق منها إلا بقايا داخل الرواة في بعض منها لعدم التمييز، وداخل العرب في البعض الآخر اكتفاء بدلالة المادة العتيدة فمثلا وجود (يأس وأيس) يدل على أن أيس أثرية أميت مشتقاتها لأنه لم يدخلها عمل الإعلال"[٨].

وفسَّر الدكتور إبراهيم أنيس في بحثه (مسطرة اللغوي) و(الإحصاء اللغوي) ظاهرة القلب المكاني من خلال الإحصاء، ورأى أن التفسير العلمي السليم لها هو أن السر

---

(١) معانى القرآن، ٣/ ٢٦٧

(٢) ينظر: الصّحاح (قلب) ٢٠٤/١، ٢٠٥، والتّاج (قلب) ٤٣٧/١، ٤٣٨.

(٣) ينظر: ظاهرة القلب المكاني في العربيّة٣٠١، واللهجات العربيّة في التّراث ٦٤٧/٢.

(٤) ينظر: المزهر ٤٧٦/١.

(٥) ينظر: الممتع ٦١٥/٢.

(٦) ظاهرة القلب المكاني في العربية عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، ص ٥، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص ٢٧٨ العربية الفصحى الحديثة – بحوث في تطور الألفاظ والأساليب، ص ٨٣.

(٧) علم اللغة بين التراث والمعاصرة ٢٧٨.

(٨) مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، عبد الله العلايلي، نشر المطبعة العصرية بالفجالة بالفجالة بمصر، ص ٢٠٥.

الحقيقي في معظم أمثلتها يرجع إلى اختلاف نسبة الشيوع بين السلاسل الصوتية في كلمات اللغات، وأيد كلامه بأمثلة متعددة، وذكر أن هذا الرأي لم يفطن له اللغويون العرب والمستشرقون إلاّ بعد أن أجرى إحصاءه بالكمبيوتر، مثال: أيس، يئس(١)، قال: "يرى اللغوي الحديث في كل أمثلة القلب المكاني أن إحدى الصورتين أصل وأن الأخرى فرع لها، غير أنه قد تصادف أن بعض الفروع اشتهر وشاع استعمالها فتصرفت أيضًا كالأصول وجاءت منها مشتقاتها في حين أن البعض الآخر من الفروع لم تتح له تلك الشهرة أو الشيوع فلم تتصرف كأصولها"(٢).

وعلى إثر ذلك قال: "السرّ الحقيقي في معظم أمثلة القلب المكاني يرجع إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في كلمات اللغات، وربما يكون ذلك أوضح في اللغات الجزرية ومنها اللغة العربية؛ لأنها تعتمد في كلماتها على الجذور الأصلية. وعليه فمعظم الصور المروية للقلب المكاني في الكلمات العربية تعزى أولاً وقبل كل شيء إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في اللغة العربية وليس بين اللغويين العرب أو المستشرقين من فطن لذلك، بل لم نفطن له نحن قبل ظهور الإحصاءات التي بين أيدينا"(٣) **أيدينا"(٣)** **ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى الميل إلى التخفيف اللفظى، أو التوهم السمعى وأخطاء الأجيال، أو أخطاء الرواة وتحريفهم فى النقل أو عيوب النطق.**

وقد وجدت الدراسة من هذه الظاهرة بعض الألفاظ التى حدث فيها القلب، من خلال التقديم والتأخير فى رتبة الحروف، وهى قولهم: أليم، ضعدفة، سلحفا، معلقة، عشطان، تصقيف، جيزة، جواز، جوز، زربية، باط، صباع، جنزبير، يتكسى، يريدون: لئيم، ضفدعة، سحلفاة، ملعقة، عطشان، تصفيق، زيجة، زواج، زوج، زريبة، إبط، إصبع، زنجبيل، يكتسى.

---

(١) ينظر: عودة إلى الإحصاءات اللغوية، إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية، ج٣٠، ١٩٧٢. ومسطرة اللغوي: ٨.

(٢) مسطرة اللغوي، إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، صفر ١٣٩٢هـ - مارس ١٩٧٢م. ٢٩/ ص ٩ .

(٣) مسطرة اللغوي، ص ١٠.

المبحث الثالث

التغيير بالزيادة:

أولاً: مد حركة (ياء) الإضافة:

الأصل فى ياء الإضافة، أو ياء المتكلم، الفتح، وذلك لأنها اسم مضمر على حرف واحد فتحرك مثل الكاف فى إنَّك، والهاء فى إنَّه، إلا أنَّها قد تسكن طلبًا للخفة استثقالاً للحركة على الياء[1]. فالمعروف أن أصل حركة هذه الياء هو الفتح، وقد تلجأ بعض اللهجات إلى تسكينها؛ رغبة فى التخفيف، وقد وردت هذه الظاهرة فى القراءات وفى بعض اللهجات، منها فى قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ حيث قرأ نافع:"محياىْ"[2] لكنها فى لهجة قرية البراهمة تتضاعف حركة الفتحة لتصير حركة طويلة، فيقولون: ليَّا، وعنديَّا، ويديَّا، وقدميَّا، وحوليَّا، ولديَّا، وغيرها، يريدون: لىَ، وعندىَ، ويدىَ، وقدمىَ، وحولىَ، ولدىَ، وغيرها.

والجدير بالإشارة أن هذه الظاهرة لا وجود لها فى اللهجات العربية، ولم نجد من اللغويين من تكلم فى مثل هذه الظاهرة، وإن كانت موجودة فى بعض قوافى الشعر، فيما هو معروف فى ألف الإطلاق إلا أنها ضرورة شعرية وليست ظاهرة لهجية.

ثانيًا: إشباع الحركات

من الظواهر اللهجية التى تتسم بها اللهجات عمومًا ظاهرة الزيادة الناجمة عن مطل الحركة القصيرة، فيزيد حرفًا أو أكثر، إما عن طريق التضعيف، أو عن طريق إشباع الحركة القصيرة فينتج عنها حرف من جنسها، فمطل الفتحة أو إشباعها يتولد عنه ألف، وكذلك يتولد عن الضمة واو، وعن الكسرة ياء، ويؤكد ابن جنى هذه الحقيقة بقوله: "ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متي أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه"[3] وذكر ابن جنى تحت "باب فى مطل الحركات": "وإذا فعلت

---

(١) الحجة فى القراءات السبع، ص ٧٤، والحجة لأبى على، ٦/ ٣٠٨، ومشكل إعراب القرآن، ١/ ٢٧٩، وحجة القراءات، ص ٩٣

(٢) السبعة، ص ٢٧٤، والحجة لأبى على، ٣/ ٤٤٠

(٣) سر صناعة الإعراب، ١/ ٣٤

العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها. فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو. فالألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما أنشدناه أبو علي لابن هرمة يرثي ابنه: من قوله:

فأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح

أراد: بمنتزح: مفتعَل من النازح. وأنشدنا أيضًا لعنترة:

ينباع من ذفرى غضوبٍ جسرة

وقال: أراد ينبع، فأشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفًا[١].

ومن إشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من الصياريف، والمطافيل، والجلاعيد. فأما ياء مطاليق ومطيليق فعوض من النون المحذوفة وليست مطلاً. قال أبو النجم:

منها المطافيل وغير المطفل

وأجود من ذلك قول الهذلي:

جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل[٢]

ويقصر ابن الأنبارى ظاهرة إشباع الحركات على ضرورة الشعر، أما فى حالة اختيار الكلام فلا يجوز ذلك بالإجماع[٣] لكن ابن جنى يرى خلاف ذلك حيث يقول: "وقد جاء من هذا الإشباع الذى تنشأ عنه الحروف شيء صالح نثرًا ونظمًا"[٤] وقول ابن جنى يؤكد أن الزيادة الناجمة عن مطل الحركات شيء جائز فى الشعر والنثر على حد سواء، كما يرى أنه قد يكون مطلبًا دلاليًّا، حيث يقول: "إنَّ الأصوات تابعة للمعانى فمتى قويت قويت ومتى ضعفت ضعفت"[٥]

وتبدو هذه الظاهرة فى لهجة البراهمة، لكنها تكاد تكون مقتصرة على الكسرة، فقد تمتد الكسرة فتأتى بالياء فى بنية بعض حروف الجر والإضافة عند إضافتها إلى ضمير الغائب أو الضمير الجمعى، كقولهم: بيه، وبيها، بينا، لينا، منينا، عندينا، بعدينا، قبلينا،

(١) الخصائص، ٣/ ١٢١– ١٢٣

(٢) الخصائص، ٣/ ١٢٤

(٣) ينظر: الإنصاف، ١/ ٣١

(٤) المحتسب، ١/ ٢٥٨

(٥) المحتسب، ٢/ ٢١٠

فوقينا، تحتينا، جنبينا، يريدون: به، بها، بنا، لنا، منَّا، عندنا، بعدنا، قبلنا، قوقنا، تحتنا، جنبنا، وزيادة الألف على اللفظة "مع" لتصير: معاي ومعانا، ومعاهم.

وتلحظ الدراسة أنهم يزيدون أيضًا الياء على "من" الاستفهامية، فيقولون: مين، يريدون: مَن، كما يزيدون حرفًا على أصل الكلمة نحو قولهم: راجل، واعر، ساهل، مغرافة، دواية، رحاية، مدراية، فتاية، عصاية، حداية، يريدون: رجل، وعر، سهل، مغرفة، دواة، رحى، مذراة، فتاة، عصا، حداة.

الخاتمة:

وختامًا يمكن القول إن اللهجات تعتبر مرحلة من مراحل التطور اللغوى نتيجة التأثر الطبيعى للغة وصراعها مع المؤثرات الخارجية، فحيث إن اللغة كائن حى يؤثر ويتأثر ويستجيب لبعض هذه المؤثرات، ومن ثم تكون اللغة بين مد وجزر، بين القوة والضعف، فتقوى حينًا وتضعف أحيانًا تبعًا للظروف التى تمر بها البلاد، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، حيث إن هذه الظروف تشكل ثقافة المجتمع والأمة، وهكذا الشأن فى لهجة البراهمة، فقد تناول المبحث الأول، "التغيير بالنقص" وفيه تحدث عن ظاهرة التسكين وعلاقتها باللهجات، ومظاهر التسكين فى لهجة البراهمة، وقد خلص إلى أن أهل هذه البلدة لا يُسكِّنون إلا فى حالة الضم، باعتباره أثقل الحركات، وأنهم يميلون إلى الكسر، لأنه متزن، لا هو بالثقيل الممل، ولا بالخفيف المُخل، وألقت الدراسة الضوء على الحركة الإعرابية وخلصت الدراسة إلى أن لهجة البراهمة قد استغنت عن العلامة الإعرابية، فنطقت بالوقف على آخر الكلمات، ولم يظهر هذا العيب فى المعنى، وذلك لأنهم ينحون نحو الجملة البسيطة، إذ يمثل الإعراب –على مستوى العاميات– الفارق الواضح الذى يميز الفصحى عن العامية، وأخذت الهمزة حيزًا واسعًا من العدول اللهجى فى الاستعمال اللغوى عند أهل البراهمة من حيث التخفيف والتسهيل والحذف والتبديل والاختلاس، هروبًا من الثقل الناجم عن النطق بها باعتبارها من الأصوات الثقيلة.

ثم عرج البحث على ظاهرة الحذف، سواء فى الحركة أو الحرف، بدءًا من حذف الهمزة إلى قصرها، وقد ربطت الدراسة بين ظاهرة الحذف وعلاقتها باللهجات العربية القديمة، فخلصت إلى أن البراهمة تأثرت بكثير من القبائل العربية على امتدادها، فمنها ما استقته من قبيلة تميم، ومنها ما يمكن رده إلى لغة هذيل، وغيرها، فقد أخذت من قبائل اليمن حذف "تون" من الجارة، إذا وليها ساكن، ومن قبيلة بلحارث حذف اللام والألف من حرف الجر "على" إذا وليه ساكن، وقد مالت لهجة البراهمة إلى التخفيف فى كثير من الأحيان كغيرها من اللهجات.

وألقت الدراسة الضوء على مظاهر الحذف والاختلاس الصوتى للكلمة وما يعتريها من تغييرات بالنقص، وقد ألمحت الدراسة إلى أن للتنغيم دورًا بارزًا فى لهجة البراهمة فى الحذف والاستغناء، وبيان الأساليب وسبر أغوارها واستكناه فحوى معانيها.

ثم تناولت الدراسة الإدغام كظاهرة لغوية تتغيا التخفيف، وقد اعتبرت الدراسة أنه من ظواهر التخفيف، حيث إن إدغام الصوتين يعد من حيث الشكل نقصًا فى البنية.
وخُتم المبحث الأول بظاهرة النحت فى لهجة البراهمة، وهو من المظاهر الحاجية التى تطلبها اللغة لحاجة الناطقين بها إلى السرعة والتخفيف والهروب من الثقل.

وجاء المبحث الثانى: "التغيير بالترتيب والإبدال" وقد وجدت الدراسة أن لهجة هذه القرية تميل إلى التقريب الصوتى فى بنية الكلمات، وتنحو نحو السهولة واليسر، وتكره الثقل وتنفر من الاضطراب الناجم عن عدم الاتساق الحركى أو نشازه. وقد تضمن ذلك العدول الحركى فى أصل الكلمة سواء أكان العدول عن الضم إلى الكسر، أو عن الفتح إلى الكسر. ونحت لهجتهم نحو الكسر فى أحرف الفعل المضارع، وكذا فى كسر حركة الحرف المضموم، رغبة فى التخفيف والهروب من الثقل وتوفير الجهد العضلى. وهم فى ذلك ملتزمون بالأصول اللهجية، ولم يخرجوا عليها، وقد بدت ظاهرة الإمالة واضحة لديهم فى إمالتهم الكلمات المنتهية بهاء التأنيث المسبوقة بحرف الياء، حيث ينكسر الصوت فى الحرف قبل الأخير، ليكون قد اكتمل النطق بالكلمة وتتخذ الهاء حركة الكسر المطلقة.

وألقت الدراسة الضوء على ظاهرة القلب المكانى لبعض الأصوات فى الكلمة، وهذا لا يخرج عن محاولة التخفيف وتفادى التقاء الحروف الثقيلة أو المتنافرة معًا، وختم هذا المبحث بالحديث عن ظاهرة الإبدال الصوتى بين الحروف، وقد ألقى الضوء على الحروف التى حدث بينها التبادل ونقل ما قاله العلماء واللغويون عن تقارب مخارج هذه الحروف، وقد لحظت الدراسة أن أهل البراهمة لم يلتزموا قانونًا لغويًّا واحدًا فى ظاهرة الإبدال أو غيرها، وإنما كان ذلك مرده إلى السماع، ومن ثم لا يمكن القياس عليه.

ثم عرجت الدراسة إلى المبحث الثالث: "التغيير بالزيادة" وتناول زيادة حركة "ياء" الإضافة، لتصير حرفًا، وألقى الضوء على ظاهرة إشباع الحركات وقد لوحظ أنها مقتصرة على الكسرة، لتمتد إلى الياء، وقد ذكرت الدراسة بعض الأمثلة على مظاهر الزيادة فى هذه اللهجة.

وأخيرًا يمكن القول إن لهجة البراهمة لم تخرج عن الأصول اللهجية للعربية، وأن العامية المستعملة مستمدة من الفصحى؛ لأنه لا يأتى شىء من عدم له علاقة بالجهد البشرى، أما ما اعترى اللهجة/ اللهجات من تغيير فما هو إلا استجابتها لمؤثرات خارجة عن إرادة الناطقين بها ما دامت فى حيز الاستعمال.

الملحق

وفى هذا الملحق ستذكر الدراسة بعض النصوص الصوتية التى تم تسجيلها، على سبيل المثال وليس الحصر.

(١)

فى أول المقابلات: مع الحاج: ج . م . م . فقال:

".....كنا زمان نزرع القطن فلحرجان، والفول والعدس، والقيضى والقمح والبرسيم، مكناش نزرع غير المحاصيل دى، دلوقتى شوف بيزّرع عندينا ايه، خد عندك: البطاطس والطماطم والفصوليا، والبسلا واللوبيا وكل يوم يظهر صنف وصنف، بس كانت أيامنا على كد مكانت واعرة فيها كل حاجة كانت حلوة والسعادة على قفا من يشيل، كنا نزقى بالسواقى ونحرت بلمحرات البلدى، والدراس بالنورج، دا حتى البهايم كانت تعبانه معانا، انتو وولادنا وخياتك وخواتك دلوقتى جيتو وجات معاكم الراحة، يعنى بايضالكم فى القفص، دلوقتى بقت بوابير ارتوازى، ومكن وطواحين وجرارات وهوايات، يعنى الزقية ساهلة، والحرات ساهل وكل حاجة جاتكم ساهية لاهية، الله يرحم والدينا وجدودنا تعبوا ف بو بلاش وخدموا بضمير وشقيوا عشان يحافظوا على أرضهم للولودة، أنا فاكر كتٌ أشوف أبوى وعمامى يصحوا قبل الأولات كل واحد فيهم ياخد ركوبته ويتكل على الله على وكل عيشه، وكنا احنا ظغيرين ميسيبوناش، لا ، ياخدونا معاهم نشتغل فكت أنا أحرس الفول من الزرازير، وكت أنشن عليهم بلمقلاع، وخالك برهيم كان يبدل معاى، كنا فى الفترة اللى زى دى نخيم فى الحرجة بالشهر والتنين والتلاتة، كنا نشتغل بعزيمة وضمير ومكانش حد يبخل بمروته، وكان الواحد فينا ميفوتش صاحبه ولا يفرط فيه، كنا يد واحدة، كانت اللقمة بينا زى العسل، والوكل فلخلا ليه طعم غير دلوقتى الكماوى ولمبيدات خلت كل حاجة ماصخة لا ليها طعم ولا تفتح النفس، وكان لما ياجى شهر رمضان وحنا معزبين فى الحرجان مكناش نقصر ف الصيام ولا القيام، وكنا نسَّامر الليل كله، ونقضى وقتنا ساعة لقبلك وساعة لربك، ولما يقرب وقت السحور، نقوم نجهز ونسَّحر ونصلى الفجر، ونقوم طوالى على شغلنا، ونشتغل شغل مفهوش رحرحة ولا تعبت عايز اروح، دا كمان لما يكون نهار قيض وينتصف النهار والشمس تولع تلقى العرق شغال يشر من الجسم بالك من حنفية، ريت كان الواحد يعصر جلبيته يبكن تكدبنى لو

قلتلك تملا جردل فى العصرة الوحدة، وكنا نكمل شغلنا والحمد لله ومبسوطين والحمد لله وربك يعديها معانا بالستر زى معداها مع ولدينا.

كانت أيامنا غير أيامكم، أظن انت محصلتش القطن؟ قلت: فعلاً محصلتهوش. فاستأنف حديثه قائلاً: كان القطن موسم خير عند كل الناس، كان بيعم على كل الأسر كبير ظغير، الكبير يقلع والبنات والولاد تجنى وكله يبان عند المزان، كان اللى حيجوز علقطن، واللى حيبنى علقطن واللى حيتكسى علقطن وكل واحد فى باله حاجة عايز يعملها يستنى موسم جنى القطن، وكان كل حاجة ف أيامنا ساهلة جوازنا غير جوازكم، مكانش فينا حد بيوصل العشرين، أنا أبوى جوزنى على أربعطاشر سنة وخدت أم سعيد دى كان سنها عشر سنين، لما عرفتْ أبوى كلم أبوها كانت لما تشوفنى تدّس منى، دلوقتى شوف ايه اللى بيحصل، البت آخده مخدهوش ينفع مينفعش، طويل قصير، أبيض أسود، شغال مشغالش، ناقص عليها تتقدم لبو العريس تقول طالبة يد ابنك لى، دا قلة أدب وعدم حيا... عايزة شقة فيها كيت وكيت، وتخلى أبوها يرهنلها أرض عايزة وعايزة ويريت تشبع من الطلبات، وفلآخر يريت تحمى قابها وتعمر،،، يرحم زمانا لا كنا نحب ولا نقدر الواحد فينا يكلم بت عمه، وكان الواحد فينا يجوز فجأة، عمركش ريت واحد يكون فى الشغل معانا قاعد فلعزبة وياجو ياخدوه، عشان النهاردة يوم دخلته على عروسته، أيوه أها عمك حسين عايش كد الدنيا اسعله قل له مين اللى جه لسديق بعد الضهر وقال له انو حيجوز وعقدوله على بت عمو، بت الزين، وأها اجوز وخلف وربنا كرمه بذرية صالحة ما شا الله عليهم،.....

(٢)

هذا النص مع الحاج: م. خ. م

دخلت عليه، اذيك يا جدى، فرد: الحمد لله ، وأخذ يؤنبنى على التقصير فى زيارته، وأخذ يحكى لى فقال: وصلت فين فى علامك، اوعى تسيب التعليم، يا ريت الواحد اتعلم، العلم دا أحسن من كنوز الأرض، أوعى يغرك حد يكون ثرى ولا مالك الدنيا كلها، الأموال بتروح وبتورس الكراهية بين العيال والجحم، أما العلم دا حاجة تانية الله يرحم الشخ الشعراوى كان الواحد لما يسمع يحس بالسعادة، وكل الناس تعرفه، عرفتو الناس بعلمه ولا بأرضه؟ نصيحة ليك يا ولدى امسك فلعلم بتوبه وسنانك، ثم قطع حديثه أحد أحفاده: رحت يا جدى

ملقيتش فى الدكان، فرد عليه بنغمة فيها تأنيب فقال: طيب يا جدى كتر خيرك !!! ثم نظر لى ضاحكًا ساخرًا: اها ابن ولدى الكبير ده، لو سخرتو وبعتو على اى مشوار ياخد الفلوس ويصرفها وياجى يقول لى ملقيتش يا جدى أو ميروحش.....

(٣)

الحاج : س . ع . ج

المنضرة اللى انت قاعد فيها دى اتبنت فى الأربعينات يعنى لو قالوا لابوية تعيش كديها كان زعل، ناس بتروح وناس بتاجى واهى دنيا، ربنا يقدرنا على الزينة، ويوصلها معانا على خير، وصلت فين المدرسة اللى حيبنوها فى البلد واشترولها الأرض؟ قلت: منتظرين الحكومة تبنيها، قال: الحكومة بالها طويل ويومها بسنة، فقلت: يعنى عايزنا نكمل المشوار ونبنيها من الجهود الذاتية، قال: وايه المانع؟!، قلت مازحًا: يدك على نص مليون، فضحك من قلبه، وأخذ يحدثنى عن بناء المدارس فى البلد فقال: معهد الأزهر اللى انت بتعدى عليه كل يوم بناه الحاج محمد أب الشيخ حامد الله يرحمه، والحكومة ضمته عجاهز، ومدرسة البراهمة الإعدادية بتاعة ناس الشخ عوض دى كانت إعداى وثانوى، كانت بتجيب من آخر الدنيا، كل اللى اتعلموا دول اتعلموا فيها من كل المجاورة، ودلوقتى عيالنا وبنتتنا بتروح تتعلم برة، يعنى الناس بتتقدم وحنا بنتأخر، عندينا فى البلد شباب مشا الله عليهم بيقوموا بعمل الخير، بنوا الأزهر والكتاتيب، وكفاية مشوار بتاع المدرسة، كان المرحوم الحاج محمد عبد الوهاب بيلف على كل العائلات فى البلد وكان بيصَّرف مع كل واحد حسب فهمه، وكان يتحمل العفش والزين، لغاية موصل مشروع المدرسة لبر الأمان، لغاية مخطفه الموت منينا، هما دايمًا الناس الكويسين مش بتطول معاهم، بس الأعمار بيد الله، وربنا يهدى الحكومة تكمل المدرسة، بلد طويلة عريضة قاعدة من غير مدرسة ثانوى، وبنتتها رايحة جاية على قفط وقنا والكلاحين، والله كان معاى البت السنة اللى فاتت خلصت هندسة فى أسوان، كان فى حد زمان يأمن أن بته تطلع بره البيت، دا انا أختى أم على لما جو زمان عايزينها تدخل المدرسة شفت جدى بيقول لهم عليها ماتت، وهى حية، وكنا لما نقول لها الكلام دا كانت تتضايق من جدها لغاية مراحت لرحمة الله .....

لقد استطاعت الرسالة أن تقوم بتسجيل مقابلات وحوارات قد يمتد مجموعها إلى أكثر من عشرين ساعة، ومرد ذلك إلى أننى من أبناء هذه القرية، ولى بأهلها علاقات حميمة، وعلاقات وطيدة، فضلاً عن صلات القربى التى تربطنى بأهلها كغيرى، ولذا سأكتفى ببعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر.

المصادر والمراجع

- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف الزبيدي، تحقيق: د. طارق عبد عون الجنابي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
- الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مطبعة الرسالة، مصر، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠ .
- الإبدال، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: د. عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين أبو شامة المقدسي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- الإتباع، أبو الطيب اللغوي، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٦١م.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد البنا الدمياطي ، وضع حواشيه الشيخ أنس بهرة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م .
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠ م .
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، مطبعة المدني، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م
- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د. محمد سمير نجيب اللبدي، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥ م .
- إدغام القراء، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م ضمن كتاب قراءة الكسائي .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، القاهرة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

- الأشباه والنظائر في النحو، أبو بكر السيوطي، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .
- الاشتقاق، ابن دريد الأزدي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م .
- إصلاح المنطق، ابن السكّيت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، مطبعة دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٣٢٥ هـ – ١٩٥٦ م .
- أصوات العربية بين التحول والثبات، د. حسام سعيد النعيمي، دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٩ م .
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧١ م .
- أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، مكتبة الشباب، القاهرة، د. ت.
- أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، د. كريم زكي حسام الدين، ط ٣ ، ١٤٢١هـ ،٢٠٠٠م
- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .
- الإضاءة في بيان أصول القراءة ، علي محمد الضياع ، مطبعة عبد الحميد حنفي ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه ، دار التربية للطباعة ، بغداد .
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٨ م .
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري، مطبعة إسماعيليان، ط ٣ ، ١٤١٦ هـ .
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، أبو محمد عبد الله بن محمد البطليوسي، تحقيق: مصطفى السقا و د. حامد عبد المجيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٩٠ م
- الأمالي الشجرية، ابن الشجري، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند، ط ١، ١٣٤٩ هـ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٦ ، دار الفكر ، ١٩٧٤ م .

- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار لمعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، د . ت .
- البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الأنباري ، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه ، مراجعة مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة، د. هاشم الطعان، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨ م
- تاريخ الدولة العربية الإسلامية، د. رشيد عبد الله الجميلي، مطبعة بغداد، ط٢، ١٤٠٦هـ ،١٩٨٦ م.
- التبصرة في القراءات، مكي القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، تحقيق: د. محمد كامل بركات، القاهرة، ١٩٦٧م
- التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرائد للطباعة، مصر، ١٩٦٦
- التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- تفسير الطبري المسمى "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ط ٢ ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م .
- تفسير القرطبي المسمى " الجامع لأحكام القرآن" أبو عبد الله القرطبي، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: نخبة من الأساتذة، مطابع سجل العرب، مصر، د. ت.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، عني بتصحيحه أوتوبرتزل، مكتبة المثنى ، بغداد ، نسخة مصورة عن طبعة الدولة ، اسطنبول، ١٩٣٠م .
- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، دار المعارف ، مصر ، ١٩٤٨م .
- جمهرة اللغة ، ابن دريد الأزدي، دار صادر ، بيروت .
- الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين المرادي ، تحقيق: طه محسن ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م .

- حاشية الشهاب على البيضاوي المسماة: "عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي"، شهاب الدين الخفاجي، بيروت، د. ت .
- حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبّان، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: محمود بن الجميل، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ .
- الحجة في علل القراءات السبع ، أبو علي الفارسي، تحقيق: علي النجدي ناصيف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ .
- حجة القراءات، أبو زرعة بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م .
- خزانة الأدب ولب لباب العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .
- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩م .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي ؛ أعماله ومنهجه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .
- دراسات في اللغة ، د. إبراهيم السامرائي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦١.
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، محمد حسين آل ياسين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م .
- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر، تحقيق: محمد رشيد رضا ، مطبعة أمير، قم ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨ م
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨ م .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات ، دار عمان ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابن شهاب الدين الآلوسي، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م .
- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، أبو الحسن علي بن محمد الأشموني، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .
- شرح التصريح على التوضيح ، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٢٧٤هـ - ١٩٥٤ م .
- شرح جمل الزجاجي "الشرح الكبير"، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: د. صاحب أبو جناح ، مطابع مؤسسة دار الكتب ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن وزميليه، المكتبة المرضوية، طهران، ط١، ١٣٩٥هـ ،١٩٧٥م .
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الكليات الأزهرية، القاهرة، د. ت.
- شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- شرح المفصل، ابن يعيش، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد وإسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة .
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري ، تقديم الشيخ : حسن تميم ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م .
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٧ م .
- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحـ أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

- وما يسوغ للشاعر دون الناثر ، محمود شكري الآلوسي ، شرح : محمد بهجت الأثري ، بغداد ، ١٩٢٢ م .
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحـــ. محمود أحمد شاكر، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، مصر، ١٩٨٢م
- ظاهرة القلب المكاني في العربية ؛ عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، د. عبد الفتاح الحموز ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـــ – ١٩٨٦ م .
- عبقري من البصرة، د. مهدي المخزومي، سلسلة الكتب الحديثة (٥٣) ، ١٣٩٢هـــ– ١٩٧٢م
- علم اللغة العربية ، د. محمود فهمي حجازي ، دار غريب ،القاهرة ،١٩٩٢.
- علم اللغة ؛ مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت .
- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ومطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٢م .
- فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـــ، ١٩٨٧م .
- الفصيح، أبو العباس ثعلب، تحقيق ودراسة د. عاطف مذكور، دار المعارف، د. ت .
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: مصطفى السقا وجماعته ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٣هـــ– ١٩٥٤م .
- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، جرجي زيدان، دار الحداثة، بيروت، ط١،١٩٨٧م.
- الأصوات اللغوية؛ دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٤م .
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة أبناء حسان وهبه، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- في اللهجات العربية القديمة، د. إبراهيم السامرائي، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٩٤ م .

- القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، د. مي فاضل الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠ م .
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م .
- القراءات واللهجات، عبد الوهاب حمودة، مطبعة السعادة، مصر، ط١،١٣٦٨هـ، ١٩٤٨م.
- قراءة الكسائي من القراءات العشر المتواترة، أحمد محمود عبد السميع الحفيان، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- القلب والإبدال ، أبو يوسف بن السكيت ، نشره أوغست هفنر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٠٣م ، ضمن كتاب "الكنز اللغوي" .
- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، مكتبة المعرفة، مصر، د . ت .
- الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار غريب، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي القيسي ، تحقيق: د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .
- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، الصاحب بن عبّاد، تحقيق: إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م .
- كشف المشكل في النحو، علي بن سليمان الحيدرة اليمني، تحقيق: د. هادي عطية مطر، الإرشاد، بغداد ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م .
- كنوز مدينة بلقيس ؛ قصة اكتشاف مدينة سبأ الأثرية في اليمن ، ويندل فليبس ، تعريب : عمر الديراوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦١م .
- لسان العرب ، ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٥٥ م .
- اللغة، ج. فندريس، تعريب: عبد الرحيم الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠ م .
- اللغة العربية؛ معناها ومبناها، د، تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٨م .
- اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ ،١٩٨٢ م .

– اللهجات العربية الحديثة في اليمن، د. مراد كامل، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م.
اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
– اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د. عبده الراجحي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
– لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ م .
– لهجة شمال المغرب؛ تطوان وما حولها ، د. عبد المنعم سيد عبد العال ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
– مباحث في علم اللغة واللسانيات ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٢ م .
– المبدع في التصريف ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق: د. عبد الحميد السيد طلب ، دار العروبة للنشر ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م .
– مجاز القرآن، أبو عبيدة، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مطبعة السعادة، مصر، ط ١ ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥ م .
– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مصر ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م .
– مختصر شواذ القراءات ، ابن خالويه ، نشره : برجستراشر ، دار الهجرة (من كتاب البديع لابن خالويه) .
– المخصص، ابن سيدة الأندلسي، المكتب التجاري ، بيروت .
– المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، القاهرة ، ط ٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
– المزهر في علوم اللغة وأنواعها، أبو بكر السيوطي، تحقيق: محمد جاد المولى وجماعته، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ٤ ، ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م .

- مشكل إعراب القرآن، مكي القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م .
- مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الجاحظ، بغداد، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .
- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي الخليل، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، ط ١، ١٩٩٣ م .
- معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط ٢، ١٩٨٦م.
- معاني القرآن، الأخفش الأوسط، تحقيق: عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- معاني القرآن، الأخفش الأوسط ، تحقيق: د. فائز فارس، الشركة الكويتية، الكويت، ط ٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، دار السرور، بيروت، د. ت .
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحق الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحالة ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحـقيق: د. أميل بديع يعقوب وحسن حمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .
- المفصل في صنعة الإعراب ، جار الله الزمخشري ، تحقيق:ـ د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .
- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية ، د. محمد سالم محيسن ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٦ م .
- المقتضب ، صنعة أبي العباس المبرد ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ، مطابع الأهرام التجارية ، مصر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .
- المقرب، أبو الحسن بن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦ م .

- الممتع في التصريف، أبو الحسن بن عصفور، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٣، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
- المنهج الصوتي للبنية العربية؛ رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م .
- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها على طريق طيبة النشر، د. محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩ م .
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تقديم: علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس القلقشندي، تحـقيق: محمد علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٨م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، أبو بكر السيوطي ، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم وعبد السلام محمد هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٥م.

الرسائل العلمية والدوريات:

- آراء البصريين النحوية، فى إعراب القرآن للنحاس، فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، للباحث، رسالة دكتوراه، كلية الألسن، عين شمس، مودعة بمكتبة الكلية.
- بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، د. انوليتمان، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٠، ج ١ ، ١٩٤٨ م .
- في اللهجة الصنعانية، د. خليل إبراهيم العطية، مجلة الخليج العربي، مج ١٦، ع ١ ، ١٩٨٤ م .
- لهجة برديس المعاصرة دراسة وصفية فى الأصوات والبنية، د. حازم على كمال الدين، رسالة ماجستير، نسخة الباحث، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
- المجيد في إعراب القرآن المجيد للسفاقسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ، مجلة المورد ، مج ١٧ ، ع ٤ ، ١٩٨٨ م .
- معجم لهجة تميم، جمع ودراسة: غالب فاضل المطلبي، مجلة المورد، مج ٥، ع٤، ١٩٧٦ م
- النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، الطيب البكوش، حوليات الجامعة التونسية، ع ١١ / ١٩٧٤ م .